



الأبعاد النفسية
في لغة خطاب الحياة اليومية

د. عباس محمد أحمد عبد الباقي

الأبعاد النفسية في لغة خطاب الحياة اليومية

د. عباس محمد أحمد عبد الباقي

عباس كبير

الأبعاد النفسية في لغة خطاب الحياة اليومية

جميع حقوق الطبع محفوظة ©

1446 هـ - 2024 م

الطبعة الأولى

اسم الكتاب: الأبعاد النفسية في لغة خطاب الحياة اليومية

د. عباس محمد أحمد عبد الباقي

مقاس الكتاب: 7" * 10"

عدد الصفحات: 82

التنسيق الفني: عدنان قلعه جي

رقم التسجيل الدولي ISBN:



arid.my | info@arid.my

رعاة الكتاب



المحفل العلمي الدولي
www.almahfal.org



منصقة أريد العلمية
www.arid.my



جامعة أريد الدولية
university.arid.my



أكاديمية أريد لعلوم الفضاء والفلك
falak.arid.my



وقف الذكاء الاصطناعي
www.waqf.ai



القرية العلمية
sci-village.com



أبصر فايزر للمخيمات الافتراضية
www.abservisor.com



منصقة الفاتحة
www.fatiha.id



منصقة أبناء العلماء
sos.arid.my



منصقة قادرة
www.qadirah.com



أبصر للتعليم الإلكتروني
www.abser.org



بوابتي فلسبي للدفع الإلكتروني
www.filspay.com

مقدمة:

إن أبرز ما يميز الدرس المعرفي الحديث هو تداخل العلوم وتقاربها واجتماعها في حقول معرفية بعينها، والناظر إلى علم اللسانيات في هذا العصر يجد هذا التداخل قد بلغ مدى بعيدا فقد أصبحت اللسانيات محورا لكثير من الدراسات الإنسانية الحديثة، ونشأ من هذا التداخل ظهور اتجاهات ومدارس فكرية وعلمية حديثة، شكلت تلك المدارس أساسا لعلوم حديثة كعلم الاجتماع اللغوي وعلم النفس الاجتماعي، وعلم النفس اللغوي.

تُعد دراسة اللغة من الموضوعات التي تجمع بين اللسانيات وعلم النفس، فاللسانيات تعمل على وصف الظاهرة اللغوية بكل أبعادها وفق رؤيتها ومناهجها، وعلماء النفس يعدون اللغة جزءاً أصيلاً من نظريات التحليل النفسي منذ بداياتها، وذلك بالنظر إلى اللغة بوصفها سلوك إنساني يمكن دراسته باستخدام المناهج السيكلوجية المختلفة، الالتقاء الذي أدى إلى ظهور الفرع المعرفي المسى علم النفس اللغوي أو علم اللغة النفسي.

جمعت بين اللسانيات وعلم النفس مجالات كثيرة منها: اكتساب اللغة واستعمالها، إصدار الكلام، أمراض الكلام واضرابات اللغة، اللغة الانفعالية، الثنائية والتعددية اللغوية، سيكلوجية القراءة، وغيرها من الميادين المشتركة، وقد تضافرت جهود العلمين في حل كثير من المشكلات اللغوية.

تحقق لغة خطاب الحياة اليومية كل الوظائف اللغوية؛ لأن ذلك الخطاب قادر على تحقيق الهدف النفسي والتفاعلي والاستفهامي والإخباري والإبداعي من خلال لغته المتداولة بين الأفراد تلك اللغة المتشكلة من المستويات اللغوية المعروفة: الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، التي تمثل الوعاء الحاضن للمعنى ولقاصد المنتج.

يلجأ منتج الخطاب إلى تلك المستويات اللغوية متبعاً استراتيجية محددة ليشكل خطابه حتى يكون أكثر تأثيراً في المتلقي؛ ولكنه من جانب آخر في حاجة إلى تجاوز حدود السياق اللغوي ومجاله المألوف، فيستعين بلغة الجسد والإشارة، وحتى يضمن نجاح خطابه وتحقيق هدفه يذهب إلى أبعد من ذلك فيراعي ضرورة تمثيل سياق المقام بعناصره المختلفة في بيان المعنى.

وتُعد الأبعاد النفسية من أهم العناصر المؤثرة في تشكيل الخطاب وفي معناه، لأن المعاني التي يريد المتكلم نقلها وإيصالها إلى السامع مضمرة في نفسه خفية، فهو يحتاج في الإبانة عنها إلى وسيلة تُظهر ما يختزنه من دلالات، وما يختلجه من تصورات ولذلك يلجأ إلى اللغة، فعن طريقها تُنقل الأفكار والرغبات والانفعالات والخواطر، وما يتشكل في بُعديها المنطوق والمكتوب فالعوامل النفسية من انفعالات ورغبات وخواطر تسهم بدور فاعل في تشكيل لغة خطاب الحياة اليومية، إذ أن جوهر اللغة الطبيعية هو النشاط الإنساني ليكون مفهوماً ومقبولاً لدى الآخر في اتصال مزدوج، كما تساعد تلك العوامل النفسية المتلقي من اكتساب ملكة اللغة واستخدامها وفهمها.

الفصل الأول: مفاهيم عامة

- اللغة وطبيعتها
- علم اللغة وعلم النفس
- الأبعاد النفسية اللغوية
- لغة خطاب الحياة اليومية

1/ اللغة وطبيعتها:

تُعد اللغة من أهم الظواهر الاجتماعية الإنسانية، وهي مرتبطة بكل نواحي الحياة الإنسانية فالتقدم الاجتماعي بكل ضروبه يتوقف على اللغة وكذلك التطور الاقتصادي من أبرز مقوماته اللغة التي تتجلى أهميتها في أنها تمثل لهذين الجانبين الاجتماعي والاقتصادي الأداة الأولى في تنسيق الجهود وتنظيم العلاقات الفردية والجماعية.

وتشكل اللغة جسراً تاريخياً متيناً يربط الأجيال ببعضها رغم اختلاف الأمكنة وتباعد الأزمنة لأنها الوعاء الذي يحفظ التجارب والعادات والتقاليد التي تتوارثها الأجيال. وتُعد سلاحاً من أقوى الأسلحة النفسية في السيطرة على الآراء والأفكار وتوجيه الأتباع والمؤيدين⁽¹⁾، وبث الدعاية والإعلان خاصة في هذا العصر، ولا يخفى علينا كذلك الدور السياسي الكبير الذي تؤديه اللغة في كل بلدان العالم، فاللغة باختصار هي الحياة.

وردت تعريفات ومفاهيم كثيرة للغة، وذلك لكثرة العلماء الذين عرفوها ولاختلاف نظرتهم إليها بحسب التخصص، ولأن التعريفات الكثيرة تتضمن مادة ثرة تمكن الباحث من الوقوف على طبيعة اللغة. من تلك التعريفات:

قال ابن منظور في (اللسان) في مادة (لغا): "اللغو واللّغا السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يُحصل منه على فائدة"⁽²⁾. وقال ابن فارس في (المقاييس) في مادة (لغو): "اللام والغين والحرف المعتل أصلان صحيحان أحدهما يدل على الشيء لا يعتد به والآخر على اللهج بالشيء، فالأول اللغو: ما لا يعتد به من أولاد الإبل في الدية يقال: منه لغا يلغو لغواً وذلك في لغو الأيمان، واللغا هو اللغو بعينه والثاني قولهم: لغى بالأمر إذا لهج به ويقال: إن اشتقاق اللغة منه أي يلهج صاحبها بها"⁽³⁾. والذي يمكن قوله من التعريفين أن مادة (لغا) أو (لغو) تعني تكلم بكلام غير مفيد.

ووردت كلمة (اللغو) في القرآن الكريم بمعنى الساقط من الكلام في تفسير قوله تعالى: (الغوا فيه) قال الضحاك: عن ابن عباس (والغو فيه) عيبوه، وقال قتادة: اجدوا به وأنكروه⁽⁴⁾. وورد مثل هذا في (الكشاف) إذ أشار الزمخشري إلى اللغو من الآية المذكورة بمعنى الساقط من الكلام⁽⁵⁾.

(1) د. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م، ص1.

(2) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1/1، 1990م، مادة (لغو)، ج15، ص250.

(3) أبو الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2/2، 2008م، مادة (لغو)، ج6 ص193.

(4) أبو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة المختار، القاهرة، ط3/3، ج4، ص764.

(5) الزمخشري، الكشاف، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة القاهرة، ط9/9، 1011م، ج9، ص435.

وكذلك ذكرت كلمة (اللغو) في القرآن في سورة المؤمنون ((وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ))⁽¹⁾ قال ابن عباس: أي عن الباطل⁽²⁾.

تفسير (اللغو) في القرآن الكريم يشير إلى ما لا فائدة فيه من القول والاعتقاد وواضح أن هناك اتفاقاً بين أصحاب المعاجم والمفسرين حول معنى كلمة (اللغو) التي هي أصل اللغة، وأن كلمة (لغة) لم تكن تعني قديماً ما تدل عليه الآن، والقرآن الكريم نفسه لم يذكر كلمة (لغة). ولكن وجدت بجانب كلمة (اللغو) كلمة (اللسان) بمعنى اللغة، قال ابن منظور: "... واللغة اللسان"⁽³⁾. وقال الجوهري: "اللسن بكسر اللام اللغة"⁽⁴⁾.

وجاءت كلمة (اللسان) في القرآن كثيراً منه: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))⁽⁵⁾.

ذكر الزمخشري: "بلسان قومه أي بلغة قومه"⁽⁶⁾، وكذلك في تفسير القرطبي: "بلسان بلغة"⁽⁷⁾. أورد القرآن كلمة (اللسان) بمعنى اللغة والصلة بين اللغة المنطوقة واللسان عضو النطق الرئيس صلة قوية وواضحة.

كما جاءت كلمة (اللغة) بمعنى اللهجة في الكتب القديمة ومنها (كتاب سيبويه) جاء فيه: "وتقول إذا كان غداً فإنني، وإذا كان يوم الجمعة فالقني،... وإن شئت قلت إذا كان غداً فإنني وهي لغة بني تميم"⁽⁸⁾ والظاهر من كلامه أنه يعني باللغة اللهجة. وأشار ابن السكيت: "ويقال الصرع لغة قيس والصرع لغة تميم"⁽⁹⁾ واستمرت كلمة (اللغة) بمعنى اللهجة مدة من الزمن عند القدماء، يقول ابن دريد: "واشتقاق مسطح من شيئين أما من عمود الخباء الذي يلي السطح والجمع مساطح أو من السطح وهو مريد التمر بلغة أهل نجد"⁽¹⁰⁾.

تشير النصوص المنقولة إلى أن كلمة (اللغة) كانت تستخدم بمعنى القول الساقط أو اللسان أو اللهجة، ولا يوجد في تلك النصوص ما يومئ إلى حد اللغة كما هو اليوم.

(1) سورة المؤمنون الآية 3.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص678.

(3) ابن منظور، اللسان، ج15، ص250.

(4) اسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، القاهرة، ط/1، 1956م، ج6، ص1295.

(5) سورة إبراهيم الآية 4.

(6) الزمخشري، الكشاف، ج2، ص420.

(7) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط/2، 1935م، ج7، ص623.

(8) أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، المطبعة الأميرية، بولاق، ط/1، 1881م، ج1، ص114.

(9) أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت، إصلاح المنطق، تحقيق عبد السلام محمد هرون، دار المعارف، القاهرة، ط/4، ص34.

(10) أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير، دار العلم للملايين، ط/1، 1997م، ج6، ص567.

ولا يظنن ظان أن القدماء لم تكن لهم مباحث لغوية تتناول تعريف اللغة بل لهم مجهودات كبيرة في الدرس اللغوي، نذكر بعض تعريفاتهم للغة من ذلك، قال الإسني في شرح منهاج الأصول: "حد اللغة كل لفظ وضع لمعنى"⁽¹⁾. وقال ابن الحاجب: "اللغات عبارة عن الألفاظ الموضوعية للمعاني"⁽²⁾. اللغة عند الإسني وابن الحاجب ألفاظ وضعت للمعنى، وأحسب أن هذا التعريف لا يبين حقيقة اللغة لأنه قصرها في الألفاظ كما لم يوضح كيفية دلالة اللفظ على المعنى، ولكن التعريف أشار من بعيد إلى وظيفة اللغة المتمثلة في التعبير عن المعاني.

ومن التعريفات القديمة الجديدة والمفيدة في الدرس اللغوي تعريف ابن جني في الخصائص في باب (القول على اللغة وماهي): "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم هذا حدها، وأما اختلافها فلما سنذكره في باب القول عليها أمواضعة هي أم إلهام وأما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها (فُعلة) من لغوت أي تكلمت. وأصلها لغوة ككرة وقلة وثبة..."⁽³⁾.

علّق حجازي على تعريف ابن جني ذاكراً: "هذا التعريف يتضمن العناصر الأساسية لتعريف اللغة، ويتفق مع كثير من التعريفات الحديثة للغة، فهو يوضح الطبيعة الصوتية للغة، وهو بهذا يستبعد الخطأ الشائع الذي يتوهم أن اللغة في جوهرها ظاهرة مكتوبة، ويوضح تعريف ابن جني طبيعة اللغة من جانب ووظيفتها من الجانب الآخر"⁽⁴⁾. في هذا التعريف بيان لمادة اللغة ووظيفتها وارتباطها بالمجتمع. وفي العصر الحديث وجدت اللغة اهتماماً كبيراً بسبب التطور العلمي والمنهجي لذلك كثرت تعريفاتها، يقول همبولت الألماني: "إن اللغة جهاز عضوي، ويجب أن يعالج على هذا الأساس ولذا فإن اللغة اعتماداً على هذا التعريف نظام عضوي وبنية وصورة باطنية مخالفة للصورة الظاهرية للكلام"⁽⁵⁾. هذا التعريف شبه اللغة بالكائن الحي أو بعضو منه يقوم على نظام دقيق كما أوماً إلى علاقة اللغة بالفكر.

وعرفها أنطوان مبية: "إن اللغة حدث اجتماعي بالدرجة الأولى"⁽⁶⁾. كأنه قال: إن اللغة ليس لها وجود خارج المجتمع الذي يتكلمها. ويقول وتني: "إنها ليست قوة من قوة النفس ولا هي من فعل الفكر بل هي أثر غير مباشر لهذا الفكر"⁽⁷⁾. يربط التعريف بين اللغة والفكر محاولاً تحديد تلك العلاقة. وصرح دي سوسير: "إن اللغة وهي ما هي فمن أين نظرنا إليها لن نجد فيها بسيطاً، إذ دائماً وفي كل مكان ترى هذا التوازن المعقد للألفاظ المتحاكمة، فاللغة صيغة وليست جوهر"⁽⁸⁾. يشير سوسير إلى أن اللغة نظام معقد، وأنها دائماً في حركة وتطور.

(1) د. التهامي الراعي الهاشمي، توطئة لدراسة علم اللغة التعاريف، دار آفاق عربية، بغداد، ط/1، 1976م، ص25.

(2) المرجع السابق، ص57.

(3) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 2001م، ج1، ص15.

(4) د. محمود فهد حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، ط/2، 1978، ص10.

(5) د. التهامي الراعي الهاشمي، توطئة لدراسة علم اللغة التعاريف، ص43.

(6) المرجع السابق، ص46.

(7) نفسه، ص49.

(8) نفسه ص49.

ورأى مولر: "إنها استعمال رموز مقطعية يعبر بمقتضاها عن الفكر".⁽¹⁾ في هذا التعريف ذكر مولر جانباً يتعلق بمادة اللغة نفسها وهي رموز مقطعية، وجانباً وظيفياً مربوطاً بالتعبير. وقال كارول: "إنها ذلك النظام المتشكل من الأصوات اللفظية الاتفاقية وتتابعات هذه الأصوات التي تستخدم أو يمكن أن تستخدم في الاتصال المتبادل بين جماعات من الناس والتي تصف بشكل عام الأشياء والأصوات والعمليات في البيئة الإنسانية".⁽²⁾ حصر كارول اللغة في الأصوات وأضاف الجزء المتعلق بالتعبير وأطلق عليه الاتصال.

وأورد مورس: "إن اللغة هي مجموعة من العلامات ذات دلالة جمعية مشتركة ممكنة النطق بين أفراد المجتمع المتكلم بها كافة، وهي ذات ثبات نسبي في كل موقف تظهر فيه ويكون نظاماً محدداً تتألف بموجبه حسب أصول معينة وتركيب معين وذلك التركيب علامات أكثر تعقيداً وهذه العلامات تستثير الشيء بالرمز له في العقل الذي يعلم دلالاته"⁽³⁾.

وقيل "إنها نظام من الرموز الاعتبارية يتم بواسطتها التعارف بين أفراد المجتمع تخضع هذه الأصوات للوصف من حيث المخارج والحركات التي يقوم بها والنطق ومن حيث الصفات والظواهر الصوتية المصاحبة لهذه الظاهرة النطقية"⁽⁴⁾. هذا التعريف جعل اللغة نظاماً من الرموز والأصوات التي تحكمها قواعد محددة كما ذكر وظيفة اللغة وهي إقامة التعارف بين الناس.

وكذلك أشير إلى: "اللغة نظام من العلامات المتواضع عليها اعتباراً والتي تنسم بقبولها للتجزئة ويتخذها الفرد عادة وسيلة للتعبير عن أغراضه ولتحقيق الاتصال بالآخرين ويتم ذلك بواسطة الكلام والكتابة"⁽⁵⁾. هذا التعريف أضاف إلى التعريف قبله أن هذا النظام من العلامات قابل للتجزئة.

من خلال المادة المعروضة يتضح أنه من العسير وضع تعريف شاملٍ للغة وذلك بسبب الصلة الوثيقة بين اللغة والعلوم الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها. ولكننا نحاول أن نستخلص من تلك التعريفات وصفاً دقيقاً للغة ووظائفها، أجمعت تلك التعريفات على الآتي:

1- اللغة أصوات أو رموز وعلامات.

2- اللغة نظام تحكمه ضوابط صارمة.

3- اللغة مكتسبة وليست مورثة.

(1) محمود أحمد السيد، اللغة تدريساً وكتابة، دار الفيصل الثقافية، السعودية، ط/1، 1998م، ص11.

(2) محمود أحمد السيد، المرجع السابق، ص12.

(3) المرجع نفسه، ص14.

(4) د. خليل أحمد عمارة، في التحليل اللغوي، مكتبة المنار، ط/1، 1987م، ص177.

(5) د. محمود أحمد يونس، تعريف اللغة وخصائصها، دار الشروق، القاهرة، ط/1، 1993م، ص21.

4- اللغة مرتبطة بالمجتمع الإنساني.

5- اللغة متطورة وليست جامدة.

6- اللغة لها صلة بالفكر والنفس.

7- وظيفة اللغة الأولى هي الاتصال.

وسنناقش هذه النقاط السبع لنكشف عن جزء من طبيعة اللغة:

أولاً: كلمة (أصوات) الواردة في تعريف اللغة المراد بها الأصوات اللغوية، ويعرف الصوت اللغوي بأنه أثر سمعي يصدر طواعية واختياراً من تلك الأعضاء المسماة تجاوزاً أعضاء النطق⁽¹⁾. كما يعرف بأنه الأثر الواقع على الأذن من الحركات الذبذبية للهواء التي تحدث بوساطة الجهاز الصوتي للمتكلم⁽²⁾.

يشير هذا التعريف إلى أن الحدث الكلامي له ثلاثة عناصر متصلة لا يمكن فصلها عن بعض وهي مصدر الصوت، والوسيط الناقل للصوت، ومستقبل الصوت. والصوت اللغوي يشمل الحرف، قال الرازي في تعريفه للحرف: "والحروف إنما هي أصوات تحدث في الحلقوم واللسان والشفتين عند خروج النفس من الرئة"⁽³⁾. ومما ورد في التفريق بين الصوت والحرف: الحرف يشتمل على معنى وهو وحدة بنائية في الكلام ورمز كتابي للصوت اللغوي، فصوت الراء في العربية مثلاً يعني حرف الراء⁽⁴⁾.

ونص ماريو باي على أن: "الأصوات الصادرة من جهاز النطق يجب أن تكون ذات معنى ليكون الصوت لغوياً وينقل رسالة محددة"⁽⁵⁾. قوله (يجب أن تكون ذات معنى) يحدد بدقة الأصوات المعنية بالدراسة وهي الأصوات اللغوية التي تحمل معاني محددة، وبالتالي فإن هذا الوصف للغة بأنها (أصوات) ينطبق على جميع اللغات البشرية، ويبين جانباً كبيراً من طبيعة اللغة، لأن هذه الأصوات المكونة للغات يمكن وصفها ومعرفة عددها ومخارجها وكيفية انتاجها في الجهاز الصوتي والقوانين الصوتية التي تحكمها، ولكننا سنتناول وصفاً عاماً للبنية الصوتية في اللغة بهدف الوقوف على جانب من طبيعة تلك البنية الصوتية، والتي تتكون في كل اللغات من الأصوات بقسميها الصوائت والصوامت مشتملة على المخارج والصفات التي تلازم هذه الأصوات، والمقاطع الصوتية والنبر والتنغيم.

(1) د. كمال محمد بشر، علم اللغة العام- الأصوات، دار المعارف، مصر، ط/2، 1971م، ص64.

(2) جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م، ص43.

(3) د. محمود يحيى سالم الجبوري، مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 2006م، ص17.

(4) د. كمال بشر، علم اللغة العام، ص59.

(5) ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط/8، 2010م، ص28.

قسّم العلماء الأصوات اللغوية إلى قسمين هما: أصوات اللين وهي الحركات وتعرف بالصوائت وفي العربية سماها الخليل بن أحمد الفراهيدي بالأحرف الهوائية⁽¹⁾ وأطلق عليها ابن جني الحروف المصوتة.⁽²⁾ والأصوات الساكنة وهي الحروف وتعرف بالصوامت، وهذا التقسيم يرجع إلى طبيعة الأصوات اللغوية وخواصها.⁽³⁾ كما أن هناك عاملان يبنين عليهما هذا التقسيم هما: تذبذب الوترين الصوتيين عند النطق وعدمه، وكيفية مرور الهواء من الحلق والقم والأنف⁽⁴⁾. وقد أشار كمال بشر إلى وجود عامل ثالث للتفريق بين أنواع الحركات وهو وضع الشفاه وأشكالها المختلفة⁽⁵⁾.

من هذا التقسيم يمكن القول بأن الصوائت هي الأصوات المجهورة التي يندفع فيها الهواء من الرئة إلى الفم خلال الحلق دون أن يعيقه عائق كلياً أو جزئياً، أما الصوامت فهي الأصوات المجهورة أو المهموسة التي يحدث لها اعتراض جزئي في مجرى الهواء يعمل على منع الهواء من الانطلاق دون احتكاك مسموع.⁽⁶⁾

ويمكن القول كذلك أن هذا التقسيم ينطبق على معظم اللغات، ومن ثم فإن هذا التقسيم يكشف عن خصائص وصفات صوتية مشتركة بين معظم اللغات فالاحتكاك والانفجار صفتان تلازمان الكثير من الأصوات في كثير من اللغات، والصوائت تتميز عن الصوامت بمميزات عامة تجعلها من الصعوبة بمكان على متعلم اللغة الأجنبية أن يجيدها⁽⁷⁾.

ومن أهم مميزات الصوائت الوضوح التام عند النطق بحيث تسمع بكل صفاتها بخلاف الأصوات الصامتة التي تبدو خافتة وقد تثقل على السمع⁽⁸⁾، وشيوعها في اللغات المختلفة الأمر الذي يؤدي إلى تغيير نطقها أو الخطأ فيه، يقول أنيس: "إنه لا تكاد تشترك لغة من اللغات مع أخرى في كيفية النطق بأصوات اللين، ولهجات اللغة الواحدة تختلف فيها اختلافاً يميز كل لهجة من هذه اللهجات".⁽⁹⁾ ومما يميز الصوائت تردها في الكلام بنسبة كبيرة وهذا يجعل الخطأ فيها بارزاً⁽¹⁰⁾.

تؤكد هذه المميزات أن النظام الصوتي للغة نظام دقيق ومتناسق في كل اللغات وأن هناك نقاطاً تشترك فيها اللغات وأخرى تختلف فيها الأمر الذي يؤدي إلى احتفاظ كل لغة بخصوصيتها

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الحرمين للطباعة، ج/1، ص75.

(2) ابن جني، الخصائص، ج/3، ص124.

(3) د. كمال بشر، علم اللغة العام، ص73.

(4) عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية، السلسلة الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط/1992، م، ص195.

(5) د. كمال بشر، علم اللغة العام، ص73.

(6) د. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/2، 1997، م، ص124.

(7) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط/4، 1979، م، ص29.

(8) د. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط/2، 1981، م، ص88.

(9) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص29.

(10) المرجع السابق، ص30.

وشخصيتها في نظامها الصوتي وبالتالي لا يحدث بين اللغات اقتراض أو تبادل صوتي بسهولة وسرعة كما يحدث في تبادل المفردات.

ومن غير شك أن للأصوات تأثيراً على المعاني وبالتالي دراسة الصوت ومعرفة طبيعته وصفته مهمة في الأداء اللغوي، وخير شاهد ننقله لبيان ارتباط الصوت بالمعنى ما جاء في كتاب (موسيقى الشعر) فقد ورد فيه: "الكلمات أنغام وشعور وارتباطات... وتأثيرها إنما يقوم على ما فيها من صوت ومعنى، فهي مبنية بناءً مزدوجاً، إنها أصوات تعتبر رموزاً للمعاني وهي أيضاً رموزاً للمعاني تعتبر أصواتاً"⁽¹⁾.

لقد أدى الجانب الصوتي دوراً كبيراً في إضفاء الدلالة على الكلمات، حيث نظر النقاد المحدثون إلى بناء الكلمات كأصوات أكثر منها كمعاني، ورأوا أن التكتيف الذي يلمسه المتلقي في أي قصيدة أصيلة إنما هو حصيلة لبناء الأصوات، ومن هنا كان حكمهم بأن الشعر ينقل قبل أن يفهم⁽²⁾. يؤثر الاختيار الجيد للأصوات في الأذان وبالتالي وجّه الأدباء عنايتهم إلى اختيار الأصوات التي تتلاءم وخطابهم الأدبي. هذا الوصف المختصر للبنية الصوتية للغة يوضح جانباً كبيراً من طبيعة اللغة متمثلاً في خواص مكونات البنية الصوتية للغة، تلك البنية التي تعدّ المكوّن الأول للغة وتشكل نظاماً صوتياً دقيقاً يعد جزءاً أصيلاً من نظام اللغة العام.

وكما ورد أن اللغة بجانب كونها أصوات هي رموز وعلامات وسنحاول أن نقف على العلاقة بين الرمز والعلامة والصوت.

ورد في المعاجم مادة (رمز) تدل على الحركة والاضطراب⁽³⁾ وفي الاصطلاح عُرّف الرمز بأنه مثير بديل يستدعي لنفسه الاستجابة نفسها التي قد يستدعيها شيء آخر عند حضوره ولذلك قيل إن الكلمات رموز لأنها تمثل شيئاً غير نفسها⁽⁴⁾.

وفي الحديث عن موضوع علم الدلالة قال أحمد مختار: "موضوع علم الدلالة أي شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، وهذه العلامات أو الرموز قد تكون علامات على الطريق وقد تكون إشارة باليد أو إيماءة بالرأس كما قد تكون كلمات أو جملاً، ومن أمثلة الرمز حمرة الوجه الدالة على الخجل والتصفيق علامة الاستحسان وعلامات الترقيم..."⁽⁵⁾ نلاحظ على هذا القول الآتي:

أ- إنه جمع بين الرمز والعلامة.

(1) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط/7، 1997م، ص 43.

(2) عبد الخالق العف، التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، مطبوعات وزارة الثقافة، السلطة الفلسطينية، ط/1، 2000م ص 253.

(3) أبو الحسين أحمد بن فارس، المقاييس، ج/2، ص 323.

(4) د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط/6، 1988م، ص 9.

(5) المرجع السابق، ص 14.

ب- العلامات والرموز كثيرة منها اللغوي وغير اللغوي.

ج- العلامات والرموز لا بد أن يكون لها معانٍ تدل عليها.

د- جعل الكلمات والجمل علامات ورموزاً.

وهناك رموز غير لغوية مثل صوت الجرس، ورموز لغوية مثل الأصوات اللغوية والجمل والكلمات وهي المعنية بالدراسة والكشف عن طبيعتها. ومن العلماء من جعل الرموز علماً قائماً بذاته وعرفه بأنه هو الدراسة العلمية للرموز اللغوية يقول دي سوسير: "وعلم الرموز هو العلم الذي يدرس الرموز بصفة عامة ويعد علم اللغة أحد فروعهِ"⁽¹⁾.

وهذا العلم يختص بدراسة كيفية استخدام الرموز والعلامات كوسائل اتصال في اللغة، ودراسة العلاقة بين الرمز وما يدل عليه، ودراسة العلاقة بين الرموز نفسها.

بناءً على ما تقدم فإن علم الرموز يضم فروعاً كثيرة من بينها الأصوات اللغوية والتي نميل إلى أنها رموز لها صفاتها وخصائصها وشروطها المتعارف عليها عند أهل اللغة المعنية وأن الانسان يتميز عن الحيوان بالقدرة على الرمز أي أن يجعل الشيء رمزاً دالاً على شيء آخر فليس هناك نشاط إنساني ليس فيه رمز، فالعلوم والفنون والدين وكافة الحياة الاجتماعية في ترابطها قائمة على الرموز.

أما العلامة في اللغة فهي أثر بالشيء تميز به عن غيره⁽²⁾. وعليه فاللغة نظاماً علامياً مميزاً من بين الأنظمة العلامية الأخرى، فهي تختلف عن لغات الحيوانات ولغات الإشارة الجسمية ولغة الصم والبكم ولغة المرور، وتختلف كذلك عن العلامات الأخرى مثل وجود الرماد علامة دالة على وجود نار سابقة.

اللغة علامات لها مميزات وشروط خاصة بها تميزها عن غيرها من العلامات وهذا لا يتعارض مع كونها رموزاً وأصواتاً.

ثانياً اللغة نظام: كلمة (نظام) في اللغة تعني تأليف شيء وتأنيقه، ونظمت الخرز نظاماً ونظمت الشعر وغيره، والنظام الخيط يجمع الخرز.⁽³⁾

إذن الشيء المنظم هو الذي تم وضعه بترتيب خاص وفق شروط خاصة ثابتة. والمقصود بالقول إن اللغة نظام أي أنها تخضع للتأليف المحكم الدقيق بين الأصوات وخواصها وكيفية تكوين الكلمات والجمل عبر القوانين الصرفية والنحوية وعلاقة كل هذا بالمعنى. فاللغة نظام غاية في

(1) فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة د. بوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ط/1، 1985م، ص 29.

(2) أبو الحسين أحمد بن فارس، المقاييس، ج/4، ص 87.

(3) المرجع السابق ج/4، ص 366.

التعقيد لكن الفرد يتكلم بلغته الأم ولا يفتن إلى ذلك التعقيد فهي عنده عادة مثل قيادة السيارة أو الدراجة يقوم بها بشكل آلي فتؤدي الغرض منها بشكل طوعي وسريع.⁽¹⁾ ولكن عالم اللغة ما أن يبدأ في وصف اللغة حتى يجد نفسه أمام نظام غاية في التعقيد يتألف بطرق معينة من أنظمة أخرى كل منها لا يقل تعقيداً عن الآخر، وقد يجد نفسه محتاجاً إلى عون كثير أو قليل من العلماء منهم من يعمل في تحليل الأصوات البشرية، وآخر يختص بعلم النفس وثالث بعلم الاجتماع، ورابع بعلم الأجناس البشرية.

يبين القول أعلاه أن اللغة نظام عام يتكون من عدة أنظمة، هي النظام الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، وحين تسمى أفكاراً مرتبة ترتيباً معيناً نظاماً فلا بد أن تكون بينها علاقات عضوية معينة، وكذلك أوجه خلاف بين كل واحدة منها وبين الأخرى بحيث تؤدي كل واحدة منها في النظام وظيفة تختلف عما تؤديه الأخرى، فالنظام إذن تكامل عضوي واكتمال وظيفي يجعله جامعاً مانعاً بحيث يصعب أن يستخرج منه شيء أو يضاف إليه شيء.

ولما كان طابع النظام اللغوي عضوياً أصبح من الصعب على اللغات أن تستعير الواحدة جزءاً من نظام الأخرى، ومن ثم لم نجد لغة تستعير من لغة أخرى أحد أصواتها أو ظاهرة سياقية من ظواهرها أو صيغة صرفية من صيغها أو علاقة من علاقاتها النحوية. ويتضح هذا الارتباط بين مكونات النظام اللغوي عند وصف أي حدث كلامي مهما كان بسيطاً تجده يمر بعدد من العمليات المختلفة أولها الجانب الصوتي.

يقول دي سوسير: "اللغة نظام له ترتيب خاص ويمكن توضيح ذلك النظام اللغوي بالشطرنج فما هو خارجي في الشطرنج يمكن فصله بسهولة عما هو داخلي، فإذا استخدمنا أجزاء من الشطرنج مصنوعة من العاج بدلاً من الخشب فإن هذا التغيير لا أثر له في نظام الشطرنج، أما إذا قللنا من أجزاء الشطرنج أو أضفنا إليها فإن هذا التغيير له أثر كبير في اللعبة، ويستطيع المرء أن يحدد طبيعة الظاهرة باستخدام هذه القاعدة، فكل شيء يحدث تغييراً بأي أسلوب كان إنما هو داخلي..."⁽²⁾.

إذن النظام اللغوي نظام متين دقيق ينظم عمل المؤثرات الخارجية مثل الاختلاف في طريقة نطق بعض الأصوات أثناء الكلام ولهذا الاختلاف تأثير عميق على مستقبل اللغة وعلى المادة التي تتألف منها الكلمات ولكنها لا تؤثر في اللغة كنظام.

ومن أجزاء النظام اللغوي العام النظام الصرفي والنحوي، وهما مرتبطان بالنظام الصوتي في أي لغة من اللغات، فالنظام اللغوي وحدة واحدة مترابطة، والنظام الصرفي يبحث في هيكل الكلمات أو بناء الكلمة الداخلي، في حين يبحث النظام النحوي في علاقة المفردات بعضها مع بعض في

(1) د.نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1978م، ص 62.

(2) دي سوسير، علم اللغة العام، ص 39.

الجمل، وكلا النظامين يرفد الآخر ويتصل به اتصالاً وثيقاً لأن البنية الداخلية للكلمة تؤثر على علاقاتها مع الكلمات الأخرى في الجملة.

ولتوضيح هذا التأثير نضرب المثال الآتي: إذا بُدئت الجملة بكلمة (قاتل) يتوقع السامع اتباع ذلك بفاعل ومفعول مثلاً: قاتل الرجل عدوه، وهذه الجملة لها معنى محدد ولكن إذا طرأ على الفعل (قاتل) طارئ صر في فأصبح (تقاتل) فإن تركيب الجملة يتغير تبعاً لذلك ويكون: تقاتل الرجلان أو تقاتل الرجال، وغيرها من الجمل التي تتناسب والفعل (تقاتل) هذا التغيير في التركيب ظاهرة نحوية وحتى المعنى أيضاً يتغير.

المثال المذكور كافٍ للكشف عن أن الصرف نظام له قوانينه وكذلك النحو وأن هناك واشجة قوية تربط بينهما وبين الصوت والمعنى.

ثالثاً اللغة مكتسبة وليست مورثة: قال ابن فارس في مادة (كسب): "الكاف والسين والباء أصل واحد يدل على ابتغاء وطلب وإصابة فالكسب من ذلك"⁽¹⁾.

إن قولهم اللغة مكتسبة، يعني أن الإنسان يتعلمها بعد أن يولد، كغيرها من أنواع السلوك والعادات المختلفة، وعند الحديث عن اكتساب اللغة نركز على اللغة الإنسانية المنطوقة والمكتوبة، ومن ثم يجب إبعاد القول بأن جميع الأعضاء والجوارح يمكن أن تخلق لغة، وبالتالي فالإيماء لغة والضحك لغة والرسم لغة والنحت لغة والموسيقى لغة وغناء الطيور لغة وصراخ القردة لغة ورقص النحل لغة وغيرها من أشكال الاتصال. وكذلك إبعاد القول بأن اللغة غريزة أصلية في الإنسان، وأنه مميز بها عن الحيوان، وأيضاً إبعاد القول بأن المادة الأساسية لألفاظ اللغة هي الصوت الذي يحمل في جرسه ما يوحي بمدلول هذه الألفاظ، بمعنى أن الصوت المسموع يحاكي أصوات الطبيعة، إبعاد هذا القول يجنب البحث الخوض في قضايا تتعلق بنشأة اللغة، لأن الخوض فيها لا يفيد البحث شيئاً.

من هذا المنطلق يمكن القول بأن اللغة مجموعة من العادات المكتسبة مثلها في ذلك مثل مظاهر السلوك الأخرى⁽²⁾، وبديهي أن الطفل يكتسب أسس لغته المنطوقة في سن مبكرة قبل أن يلتحق بالمدرسة ليتعلمها على نطاق أوسع، وتظل اللغة ملازمة له طوال حياته حتى وكأنه ولد وهي جزء منه، ولكن هناك سؤال مهم وهو كيف يكتسب الطفل اللغة؟

الإجابة عن هذا السؤال تكشف جانباً مهماً من طبيعة اللغة وتعالج عدداً من القضايا المتعلقة بتعليم اللغة.

ولكي يكتسب الإنسان اللغة لابد أن يكون مهيناً ومعداً إعداداً خاصاً يمكنه من اكتسابها ونعني بهذا الإعداد أن الإنسان مزود بقدره فطرية خاصة بالجنس البشري وبالسلوك اللغوي هذه

(1) أبو الحسين أحمد بن فارس، المقاييس، ج/5، ص136.

(2) د. الغالي أحرشواو، الطفل واللغة تأطير نظري ومهجي للتمثلات الدلالية عند الطفل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط/1 1993م ص 76.

القدرة لها ارتباط بالنواحي التشريحية في الإنسان، وهناك علاقة واضحة بين اللغة والجهاز النطقي والسمعي في الإنسان⁽¹⁾. قال وافي: "اللغة الملكة هي مقدره فطرية مزود بها كل مولود بشري وهي أهم السمات الفطرية التي تميز الإنسان عن الحيوان"⁽²⁾. سنحاول مناقشة المقدره الفطرية عند الإنسان التي تعينه على اكتساب اللغة وعلاقتها بالجانب التشريحي للإنسان.

إذا سلمنا أن اللغة بمفهومها الحقيقي قدرة فطرية خاصة بالجنس البشري، هذا يعني أن هناك صفات بيولوجية محددة متوفرة في الإنسان، ولها علاقة مباشرة باكتساب اللغة، لا بد من معرفة هذه الصفات وهي:

أ- وجود بعض العلاقات بين اللغة والنواحي الفسيولوجية والتشريحية للإنسان، فقد تزايد عدد الأدلة التي تشير إلى أن للسلوك اللغوي علاقة بالخصائص البيولوجية والوظيفية لجسم الإنسان منها العلاقة بين اللغة وتركيب جهاز السمع والنطق، ومنها العلاقة بين اللغة وبين مراكز التنسيق المتعلقة بحركة العضلات الخاصة بالنطق والسيطرة على التنفس، ليتمكن الإنسان من الكلام مدة طويلة، ومنها العلاقة بين اللغة وبين الدماغ والتخصصات التي اكتشفت في أجزائه المختلفة وعلاقات أخرى تتعلق بالحس والإدراك اللغوي⁽³⁾.

كل هذه العلاقات تؤكد أن الانسان مزود بأجهزة تؤدي وظائف أساسية أخرى ولكنها في الوقت نفسه تعينه على اكتساب اللغة.

ب- وجود جدول زمني ثابت للتطور اللغوي، من الواضح أن البدء بالنطق والسلوك اللغوي يأتي حسب جدول زمني دقيق، ويتطور بموجب ذلك الجدول عند جميع أطفال العالم مهما اختلفت لغاتهم وخصائصهم⁽⁴⁾. كما أن أول ما يتعلمه الطفل لا يتألف من مفردات اللغة بل من بعض المبادئ المتعلقة بتصنيف تلك المفردات إلى أسر، فالكلمات الأولى التي يكتسبها الطفل لا تشير إلى أشياء أو أحداث معينة، بل تشير إلى مجموعات أو أسر فكلمة (كرسي) مثلاً تشير بالنسبة للطفل إلى أسرة الكراسي جميعاً بغض النظر عن أشكالها وأحجامها وموادها المصنوعة منها واستخداماتها المختلفة⁽⁵⁾.

هذه الملاحظة في اكتساب اللغة عامة عند جميع الأطفال ومنطبقة كذلك على كل اللغات مما يثبت أن اللغة مكتسبة وليست مورثة، فلا يعقل أن يرث جميع أطفال العالم صفات مشتركة وينسب ثابتة.

(1) دي سوسير، علم اللغة العام، ص 50.

(2) د. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر، ط/1، 2004م، ص 92.

(3) د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية، ص 135.

(4) د. الغالي أحرشواو، الطفل واللغة، ص 108.

(5) د. ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط/1، 1993م، ص 73.

ج - قوة القدرة اللغوية الكامنة عند الطفل، إن القدرة الكامنة عند الطفل والتي تمكنه من اكتساب اللغة قوية لدرجة أنها تتطور في وجه أصعب الظروف، فالأطفال المكفوفون يكتسبون اللغة كالأطفال الأسوياء، إلا بعض المفردات التي لا يمكن التعرف عليها إلا عن طريق اللمس، كما أن الأطفال الصم يكتسبون اللغة المكتوبة بسهولة، والأطفال الذين يولدون لأباء وأمّهات صم بكم فإنهم أيضاً يكتسبون اللغة بشكل عادي.⁽¹⁾

وهذا يؤكد أن اللغة هي المقدرة على فهم ما يقال وأنها أوسع وأشمل من الكلام، وأن الاستعداد والميل لاكتساب اللغة يبقى ثابتاً عند الإنسان على الرغم مما يصيبه من عاهات أو تطورات جينية، وكما يقول دي سوسير: "إن اللغة شيء متميز جداً فإذا فقد المرء القدرة على الكلام يبقى محتفظاً أو يفهم الإشارات".⁽²⁾

د- إن اللغة البشرية لا يمكن تعليمها لغير البشر، لقد دلت المتابعة حتى الآن على أنه ليس لدى أي جنس غير بشري لغة بشرية، أو حتى وسيلة اتصال أخرى تصل في تنظيمها وتعقيدها إلى مستوى لغة الإنسان، كما أثبتت التجارب أنه لا يمكن تعليم هذه اللغة لأي جنس غير بشري إذ فشلت كل التجارب التي أجريت على قرد الشمبانزي لتعليمه لغة الإنسان.⁽³⁾

هـ - وجود أسس مشتركة بين جميع اللغات، أقر معظم اللغويين على وجود أسس مشتركة بين جميع اللغات صوتية ونحوية ودلالية، بغض النظر عما إذا كانت بين بعضها علاقات تاريخية أو لم تكن.⁽⁴⁾

ففي جميع لغات العالم مفردات تدل على الأشياء والمشاعر والصفات والأفعال والعلاقات المختلفة، فهناك أصوات وقواعد نحوية مشتركة بين اللغات وهناك المشترك اللفظي والترادف وغيرها من الظواهر اللغوية.

وثمة مؤشر يشير إلى وجود هذه الأسس المشتركة وهو أنه يمكن لأي طفل أن يتعلم أية لغة في العالم، وعلى هذا فالواضح أن المهارات الأساسية اللازمة لاكتساب اللغات المختلفة واحدة على الرغم من وجود الاختلافات بين الأجناس البشرية.

(1) د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية، ص 138.

(2) دي سوسير، علم اللغة العام، ص 59.

(3) د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية، ص 142.

(4) دي سوسير، علم اللغة العام، ص 137.

هذه الصفات مجتمعة ترجح أن الإنسان يولد وهو مزود بقدرة فطرية تمكنه من اكتساب اللغة وأن هناك صلة بين تلك القدرة اللغوية والجهاز النطقي والسمعي للإنسان والذي يتصف بصفات تبدو غير عادية بالنسبة للحيوان وهذه الصفات تساعد في عملية النطق⁽¹⁾.

ومن أبرز تلك الصفات اختلاف عملية التنفس بين الإنسان والحيوان، صحيح أن تركيب الرئتين لا يختلف كثيراً عند الإنسان وبعض الثدييات، ولكن الاختلاف يأتي أثناء عملية التنفس ففي الإنسان هذه العملية مكيفة تكيفاً خاصاً يتناسب والنطق، لأن التنفس عند الإنسان يتغير تغيراً واضحاً أثناء الكلام فيصبح الشهيق أسرع وأقصر بكثير مما هو عليه عادة، في حين تصبح عملية الزفير أطول وربما امتد هذا التغير لساعتين أو أكثر قبل أن يشعر الإنسان بالإجهاد، وبالمقابل فإن الإنسان لا يستطيع الامتناع عن التنفس تحت الماء لأكثر من دقيقتين إلا بعد التدريب والممارسة.

ومما يميز الجهاز الصوتي للإنسان ويجعله قادراً على التكلم تركيب الحنجرة فحنجرة الإنسان تختلف عن حنجرة القردة مثلاً، فالأولى أبسط من حيث التركيب وهذا يساعد على مرور الهواء من الرئتين بدون عوائق إلى أن يصل الفم والأنف وبساطة التركيب في نظر علماء الأحياء دليل التخصص في عضو معين⁽²⁾.

وهناك اختلاف كذلك بين فم الإنسان وأفواه الحيوانات الأخرى، فأسنان الإنسان متقاربة في الارتفاع وتشكل حاجزاً كاملاً كما أنها ليست مائلة، والفكان يمكن انطباق أحدهما على الآخر انطباقاً كاملاً، وهذه الصفات ضرورية لنطق بعض الأصوات اللغوية في مختلف اللغات وأخيراً فإن الفم بمجملة صغير نسبياً ويمكن أن يفتح ويغلق بسهولة وهذا يساعد على نطق الأصوات الانفجارية.

هذه الصفات التي يتصف بها الجهاز النطقي الإنساني تبدو مواتية لنطق الأصوات المختلفة المستعملة في لغات البشر، فإذا نظرنا إلى بدايات اللغة عند جميع أطفال العالم نجد أنها تتبع جدولاً زمنياً يكاد يكون ثابتاً بالنسبة لهؤلاء جميعاً مهما اختلفت لغاتهم وحضاراتهم، كما نجد أن تطور اللغة شبيه من وجوه عديدة جداً بأنماط السلوك الأخرى المحكومة بيولوجياً، فكثير من أنماط السلوك تظهر عند الطفل من غير أن تكون هناك حاجة إليها وكذلك اللغة تظهر عند الطفل من دون حاجة إليها فهو مازال تحت رعاية أمه التامة.

وأهم ما يميز هذه القدرة اللازمة لاكتساب اللغة أنها لا تحتاج إلى تدريب أو ليس للتدريب أثر كبير فيها، فقد أجريت تجارب حاول فيها بعض الآباء تعليم أبنائهم أنواعاً معينة من التراكيب النحوية ولكنهم فشلوا، بينما أتت فترة معينة من العمر استطاع هؤلاء الأسوياء أن يتقنوا تلك

(1) د. الغالي أحرشوا، الطفل واللغة، ص 83.

(2) د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية، ص 142.

التركييب بدون تدريب، وتبين أن التدريب لا يفيد إلا في جانب واحد هو زيادة المفردات اللغوية وهذا الجانب هو أقل الجوانب صعوبة في اكتساب اللغة⁽¹⁾.

إذن يولد الطفل ولديه القدرة على اكتساب اللغة والبيئة التي ينشأ فيها لا تستطيع أن تغير في هذه القدرة، ومع هذا فإن للمحيط أثر في التطور الطبيعي للغة وهذا واضح من النظر إلى الطفل الذي ينشأ في محيط غني من الناحيتين اللغوية والثقافية، وآخر ينشأ في محيط أفقر فإن المحيط الفقير يعيق تطور اللغة ويفقرها من حيث المفردات والقواعد، إلا أن هذا التأخير يمكن تلافيه بسرعة إذا انتقل الطفل إلى محيط أفضل، فتغلب القدرة الكامنة مرة ثانية على التأثير السيئ للمحيط الفقير.

رابعاً اللغة مرتبطة بالمجتمع، دراسة اللغة دائماً تنصب على جانبيين الأول يتعلق باللغة نفسها ومعرفة أنظمتها المختلفة ومن ثم كيفية التعبير عن المعاني، وهذا الجانب هو الذي ركز عليه القدامى، أما الجانب الثاني فهو الذي يدرس الوظائف التي تؤديها اللغة وعلاقتها بالمجتمع ويرى أكثر المحدثين أن وظيفة اللغة الأولى هي الاتصال على الرغم من أن اللغة تؤدي وظائف كثيرة في غاية الأهمية تكشف عن علاقة اللغة بالمجتمع.

اللغة مرتبطة بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً وتعبر عن ثقافته وعاداته وتقاليده، ومستواه التعليمي وهي ظاهرة اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية، فتخلقها طبيعة الاجتماع وتنبعث عن الحياة الجمعية وما تقتضيه هذه الحياة من شئون⁽²⁾.

يشير وافي إلى أن اللغة ليست من صنع فرد واحد أو أفراد، وإنما هي نتيجة حتمية للحياة في مجتمع، فلا يمكن أن تنشأ اللغة إلا في مجتمع، وكما أشار إلى أنها ظاهرة كغيرها من الظواهر الاجتماعية، ولكن للغة بعد اجتماعي يختلف عن غيره من الظواهر الاجتماعية.

فاللغة أهم مظهر دال على وجود الجماعة والمحافظة على كيانها، وهي عنصر ضروري لبقاء وتماسك وحدات المجتمع، وهي بوصفها هذا تشكل موضوعاً من موضوعات علم الاجتماع⁽³⁾.

وهذا الاتصال الوثيق بين اللغة والمجتمع، هو الذي جعل علماء الاجتماع القدامى يميلون إلى تعريف اللغة بأنها الأصوات التي يعبر بها الناس عن أغراضهم، وهو التعريف الذي ساد عند الأقدمين من علماء اللغة، ولكن حصر وظيفة اللغة في التعبير عن الفكر والأغراض فيه شيء من التضيق، فاللغة مرتبطة بالجماعة الناطقة بها وعبر دراسة تاريخ اللغة وتطورها يمكن أن يُهتدى إلى خصائص الجماعات البشرية التي تتكلمها.

وفي اللغة جانب فردي هو قضاء حاجة الفرد في المجتمع، وجانب اجتماعي خالص هو تهيئة الوضع المناسب لتكوين المجتمع، بالنسبة للجانب الأول واضح أن طبيعة التخصص تتحكم فيه

(1) د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية، ص 144.

(2) د. علي عبد الواحد وافي اللغة والمجتمع، دار المعارف، القاهرة، 1946م، ص 703.

(3) د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية، ص 5.

فلا يستطيع فرد واحد أن يكون طبيباً ونجاراً وصياداً ومن هنا كان على الفرد أن يعتمد في أموره على الآخرين من أصحاب هذه المهن وأن يتصل بهم ولا سبيل إلى هذا الاتصال إلا بواسطة التفاهم ولا بد للتفاهم من لغة وأما الجانب الثاني فإن اللغة أصل وجذر كل ما يمكن أن نتصوره من عوامل تكوين المجتمع كالتاريخ المشترك، والدين المشترك، والأدب المشترك، إذ لا يقوم شيء من ذلك بدون اللغة.

يقول أحمد السايح: "كيف يمكن تصور تاريخ أو دين أو أدب أو فكر أو إحساس لا يترجم عنه بها إن الشركة في كل هذه العناصر هي الحياة الاجتماعية ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة".⁽¹⁾

إذن اللغة بجانب كونها أداة اتصال وتفاهم وتعاون هي عامل من عوامل الوحدة السياسية للجماعات فالجماعة مهما اختلفت في الدين أو الجنس أو البيئة فإن كانت لغتها واحدة تظل متماسكة متحدة.⁽²⁾

واللغة تختلف من حيث بنيتها ونظمها ومجاراتها للحياة والأحداث، باختلاف الناطقين بها من الشعوب وليست هناك علاقة ضرورية بين الجنس واللغة، وبين قدرة الناس على التفكير أو على تعلم لغة من اللغات، وهناك لغات عديدة لأكثر من جنس واحد وهذه الأجناس على اختلافها تجيدها ولا تأنس مشقة في تعلمها كالإنجليزية والعربية.⁽³⁾

يتضح أنه من الخطأ القول بأن وحدة اللغة الواحدة تعني قرابة الدم، وأن الأسرة اللغوية تتفق والأسرة الأنثروبولوجية، والوحدة الاجتماعية تستند على علاقات متنوعة من دين وحضارة ودفاع مشترك وغيرها، ويمكن أن توجد بين أجناس مختلفة ليس بينها أصرة دم أو قرابة، وهذه الاجتماعية بدورها يمكن أن تخلق وحدة لغوية.

ومما يدور عند البعض أن هناك لغات متخلفة وأخرى راقية، والذي يبدو أن هذا الحكم غير موضوعي، فاللغات التي تتسم بسمات بدائية يمكن أن تتحول إلى لغات راقية لو انفتح المجال أمامها، واتيحت لها ظروف التغيير تبعاً للتحويلات الاجتماعية، وهذه نقطة مهمة تكشف عن مدى فاعلية التأثير والتأثر المتبادل بين اللغة والمجتمع.

ومن ناحية أخرى فإن للمكان أثره على اللغة فلغة سكان الصحراء تختلف عن لغة سكان المناطق السهلية والزراعية والصناعية، فلغة الصحراء خشنة الألفاظ غليظة الأصوات ربما بسبب المساحة الشاسعة التي تتطلب ارتفاع الصوت، وقوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ

(1) أحمد عبد الرحيم السايح، مقال بعنوان اللغة الإنسانية، مجلة اللسان العربي، العدد الأول، المجلد التاسع، 1972م، ص53.

(2) سميح أبو مغلي، كتابات في اللغة، شركة الأصدقاء للطباعة، ص9.

(3) د. محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، الاسكندرية، ط2، 1963م، ص67.

الْحُجْرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ⁽¹⁾، دليل على ارتفاع صوت البدو، ولكن بعد أن سكنوا المدن وتحضرُوا تغيرت طرائق تعبيرهم في الأصوات ونظام القواعد وقلّت اللهجات وبرزت القرشية كلغة عامة بين العرب.⁽²⁾

وللزمان أيضاً تأثيره في اللغة، لأن انتقال اللغة من جيل إلى جيل يترك أثره في أصوات اللغة ومفرداتها ونظمها وتراكيبها، ففي لهجات العربية مثلاً أصبحت الذال قريبة من الزاي فضلاً عن فقدان الإعراب في العاميات، وتقصير الحركات الطويلة أو حذفها وخلق حركات غريبة.⁽³⁾ أثر الزمان والمكان على اللغة واضح ولو أخذ زمنًا طويلاً، ولا يخفى كذلك ما للمكان والزمان من أثر في المجتمع.

كما تتأثر اللغة بالنظم الاجتماعية فتحمل سمات المجتمع في النواحي السياسية والاقتصادية والدينية، فالمجتمع يطبع خواصه في هذه النواحي على لغته، فالكلمات والتعبيرات تتفق مع شكل النظم السائدة، فلو درسنا ألفاظ عصر الإقطاع وعصر ما بعد الثورة في أوروبا لوجدنا أن مدلول كلمة (سيد) قد تغير.⁽⁴⁾

ويسلك المجتمع في ممارسة طقوسه الدينية وشعائره مسلكاً لغوياً ذا طابع خاص فلغة الدين لها ألفاظها وتراكيبها وأساليبها التعبيرية مثل: لغة الأذان والخطب والمدائح وغيرها، تستطيع أن تلمس فيها ميلاً إلى الإيقاع والفواصل وتتابع الأصوات وتنغيم الكلام.⁽⁵⁾

وهناك علاقة بين اللغة وسن الفرد وجنسه ذكر أو أنثى، فاللغة عنصر مهم في تمييز شريحة اجتماعية عن أخرى، للأطفال لغتهم وللمراهقين لغتهم ولل كبار لغتهم وللنساء لغتهن، والمجتمع يعرف تلك القواعد التي تحكم اللغة والسن والنوع، فإذا خرق الفرد تلك القواعد يكون ذلك واضحاً للمجتمع وعرضة للتعليق وربما السخرية ولكن هذا الالتزام يبدو أقوى في المجتمعات التقليدية المحافظة.⁽⁶⁾

وكذلك ترتبط اللغة بالشرائح الاجتماعية المختلفة ولكل شريحة لغتها مثل شريحة المدرسين أو التجار أو الأطباء أو الجند أو الطوائف الدينية المختلفة وغيرها، ولكن لم يعد وجود هذا الاختلاف موضع اهتمام وإنما الاهتمام يجب أن ينصب على التغيير الذي يحدث في لغة الفرد في المناسبات والمقامات ونوع هذا التغيير لأن الاهتمام به ربما يؤدي إلى الوصول إلى بعض الحقائق والقوانين التي تفيد الدرس اللغوي. وثمة وشيجة قوية بين اللغة واللياقة والأدب، فكثيراً من المجتمعات تحرم كلمات وعبارات معينة متعلقة بموضوعات مختلفة، كالموت والأمراض الخبيثة

(1) سورة الحجرات، الآية 4.

(2) د. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 233.

(3) د. عبد الغفار حامد هلال، مقال اللغة بين الفرد والمجتمع، مجلة اللسان العربي، العدد 23، 1984م، ص 26.

(4) فنديس، اللغة، ص 314.

(5) د. محمود السعران، علم اللغة، ص 99.

(6) د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية، ص 231.

وكوظائف بعض الأعضاء وتستبدل بها كلمات أخرى فيها شيء من اللطف والذكاء مثل: انتقل إلى جوار ربه، ودخل فلان بزوجه وغيرها من العبارات التي تقبلها النفس ويقبلها المجتمع. إذن يمكن القول بأنه لا مجتمع من غير لغة، ولا لغة بلا مجتمع، وأن اللغة تتأثر بالمجتمع وبكل ما يدور فيه وتؤثر فيه، وليست وظيفة اللغة هي الاتصال فقط ولكن اللغة تقدم وظائف اجتماعية كثيرة يتوقف عليها وجود المجتمع نفسه.

خامساً اللغة متطورة وليست جامدة، اللغة كائن حي لأنها تحيا على ألسنة المتكلمين بها وهم من الأحياء، وهي لذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن، كما يتطور الكائن الحي ويتغير وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نموه وتطوره، وهي ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع وتستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده، وسلوك أفرادها، كما أنها تتطور بتطور المجتمع، فترقى برقيه وتنحط بانحطاطه.

يقول وافي: "ولما كان من المتعذر أن تظل لغة من لغات البشر بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى لذلك كانت كل لغة من لغات العالم عرضة للتطور المطرد من هذا الطريق ... ويحدث بين اللغات ما يحدث بين الكائنات الحية وجماعاتها من احتكاك وصراع وتنازع على البقاء وسعي وراء الغلبة والسيطرة..."⁽¹⁾

ويرى العلماء إن هذا التطور يخضع لقوانين جبرية ثابتة مطردة النتائج، واضحة المعالم محققة الآثار، وليس في قدرة الأفراد أن يوقفوا تطور لغة ما أو يسيروا بها في سبيل غير السبيل التي رسمتها لها سنن التطور الطبيعي، فمهما أجادوا في وضع معاجمها وتحديد ألفاظها وضبط أصواتها وقواعدها، ومهما أجهدوا أنفسهم في اتقان تعليمها للأطفال قراءة وكتابة ونطقاً ومهما بذلوا في محاربة ما يطرأ عليها من تحريف ولحن فإنها لا تلبث أن تحطم هذه الأغلال وتفلت من هذه القيود وتسير في السبيل التي تريدها سنن التطور.⁽²⁾

ويذكر ماريو باي: "إن الاتجاه الطبيعي للغة وبخاصة في صورتها الدارجة أو المتكلمة هو اتجاه يبعدها عن المركز، أو ما يمكن أن يسمى اتجاهاً (طرديمركزياً)* فاللغة تميل إلى التغيير سواء خلال الزمان أو عبر المكان، إلى الحد الذي لا يوقف تياره العوامل الجاذبة نحو المركز أو التي

(1) د. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 252.

(2) المرجع السابق، ص 229.

* الطرديمركزية، كلمة منحوتة تعني الطردى مركزي.

يمكن أن تسمى (بالجذبيمركزية)*، هذه الخاصية العالمية للغة مهمة لعالم اللغة التاريخي حيث أنها تشكل الأساس في كل تغير لغوي...".⁽¹⁾

كما يقول أولمان: "اللغة ليست هامة أو ساكنة بحال من الأحوال، بالرغم من أن تقدمها قد يبدو بطيئاً في بعض الأحيان، فالأصوات والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها معرضة كلها للتغير والتطور، ولكن سرعة الحركة والتغير فقط هي التي تختلف...".⁽²⁾

نستنتج من الأقوال أعلاه أن التطور اللغوي أمر ثابت أقره كل العلماء، وأن اللغة متحركة باستمرار وبالتالي فهي متطورة باستمرار، وأن هذا التطور له مفهوم محدد ومجالات معروفة وأسباب تؤدي إليه، وضوابط تحكمه. مفهوم التطور المعني هو التغير الذي يحدث في اللغة من غير تقييم لهذا التطور والحكم عليه بالحسن أو القبح لأن معالجة التطور هنا معالجة وصفية وليست معيارية.

من أبرز الضوابط التي تتحكم في التطور اللغوي أنه يحدث نتيجة لعوامل جبرية لا يستطيع الإنسان السيطرة عليها، والتطور لا يتم في كل أنظمة اللغة بسرعة واحدة، فالكلمات والعبارات لا تستقر على حال، أما النظام الصوتي فعلى النقيض إذ يتميز بالثبات والاستقرار وكذلك النظام الصرفي، ومن ضوابط التطور سعة انتشار اللغة وعدد المتكلمين بها، فإنه متى ما انتشرت لغة ما في مساحات واسعة وزاد عدد المتكلمين بها استحالت عليها الاحتفاظ بوحدتها.⁽³⁾

وفي ذلك يقول فندريس: "إذ أن انتشارها في أقاليم تحتك فيها بلغات أخرى يعرضها لأن تفقد خصائصها الموهلة في الذاتية، والتأثير الذي يقع عليها من الخارج يؤدي بها إلى التغير السريع... من ذلك أن الاختلاف بين (I shall) و (I will) لم يعد له وجود في الإنجليزية المتكلمة في أمريكا فلا يقال الآن إلا (I will)."⁽⁴⁾ ولم يكن الأمر في أمريكا وحدها بل طال معظم بلدان العالم.

ومما يضبط التطور ويوجهه العوامل الاجتماعية والنفسية مثل حضارة الأمة ونظمها وعاداتها وثقافتها واتجاهاتها الفكرية، هذه أهم الضوابط التي تتحكم في التطور اللغوي العام.

أما مجالاته فمنها النظام الصوتي للغة، للتطور الصوتي خصائص كثيرة أهمها إنه يسير ببطء وتدرج لأن اختلاف الأصوات بين الأجيال المختلفة أمر دقيق لا يتبين حقيقته إلا أهل الدراية، ولكنه يظهر عند مقارنة أصوات لغة ما في العصر الحديث بأصواتها في العصور الوسطى مثلاً. يظهر التغير عند تناول لغة ما في عصرين مختلفين، وفق قوانين ثابتة أطلق عليها العلماء

* الجذبيمركزية، كلمة منحوتة تعني الجذبي مركزي.

(1) د. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 78.

(2) استيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ص 156.

(3) د. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 78.

(4) فندريس، اللغة، ص 427.

القوانين الصوتية، وهي تعبر عن علاقة بين حالتين متتابعتين للغة واحدة في وسط اجتماعي معين.⁽¹⁾

ومن خصائصه أنه يحدث من تلقاء نفسه فهو غير شعوري، لأن الطفل يعتقد أنه يقلد والديه ويقوم بالحركات نفسها ولكنه يخالفهما ولا يشعر بذلك لأنه إذا شعر به ربما حاول تصحيح خطئه⁽²⁾. وكذلك تحول صوت (الثاء) في العربية مثلاً إلى (تاء) في كلمة (تلاتة) والقاف إلى همزة في (ألت) بدلاً من (قلت)، كل هذا حدث تمثيلاً مع قانون التطور اللغوي.

ومن ميزاته أنه جبيري وذلك لأنه يخضع لقوانين لا دخل للإنسان فيها، مثل قانون المخالفة الصوتية، وقانون المماثلة الصوتية، وقانون السهولة واليسير، فلكل هذه القوانين تأثيراتها على الأصوات.

وكذلك يتعلق التطور الصوتي بالزمان والمكان، يقول فنديريس: "فمعظم ظواهر التطور الصوتي يقتصر أثرها على بيئة معينة، ولا نكاد نحصل على تطور صوتي لحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة، فتحول صوت القاف مثلاً إلى همزة لم يظهر إلا في بعض المناطق التي تتكلم العربية، ومنذ عهد غير بعيد، وتحول صوت (a) الواقع في نهاية بعض الكلمات اللاتينية إلى صوت (e) لم يظهر إلا عند الفرنسيين، ولم يبد أثره لديهم إلا في أثناء المدة المحصورة بين نهاية القرن الثامن وأوائل الرابع عشر."⁽³⁾

والتطور الصوتي مطرد فالتغير الذي يصيب صوتاً من الأصوات في بيئة ما يظهر أثره في جميع الكلمات المشتملة على هذا الصوت، وعند جميع الأفراد في هذه البيئة، قال ماريو باي: "إذا حدث أي تغير صوتي في منطقة معينة وزمن معين، فإنه يتوقع له أن يكون تأثيره عاماً، إلا إذا تدخلت عوامل أخرى مثل التأثيرات التعليمية أو الاقتراض الأجنبي..."⁽⁴⁾

إن معرفة هذه الخصائص تعين على تفسير كثير من النظريات الخاصة باللغة وقوانينها وتعلمها فقد ثبت بطلان القول بأن تطور الأصوات يحدث نتيجة للعمل الفردي، كما ثبت عدم صحة القول بأن التطور الصوتي يتجه باللغة نحو التهذيب والكمال، ونحو التخفيف بإسقاط بعض الأصوات الثقيلة وغير المرغوب فيها، لأن هذه الاتجاهات يمكن أن تقبل إذا كان التطور مقصوداً ومتحكماً فيه ولكن الأمر ليس كذلك، وهذا التطور أيضاً يؤكد عدم إمكانية وجود لغة واحدة مشتركة بين الناس.

أما المجال الثاني من مجالات التطور اللغوي فهو المجال الدلالي، وللتطور الدلالي عوامل تقود إليه وله مجالاته وخصائصه، ومن أكبر مجالاته الكلمات وذلك بسبب كثرة دوراتها فهي في تغير

(1) د. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/3، 1997م، ص 18.

(2) د. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط/2، 1984م، ص 92.

(3) دعلي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص 286.

(4) ماريو باي، أسس علم اللغة، ص 140.

مستمر، والتغيرات التي تطرأ على الكلمات قد تكون في تخصيص دلالة الكلمة أو تعميمها أو في تغيير مجال استخدامها، أي أن معنى الكلمة يحدث فيه تضيق أو اتساع أو انتقال.⁽¹⁾ ومن أمثلة التخصيص في العربية تخصيص كلمة (الطهارة) لمعنى الختان، وكلمة (العيش) للخبز، أما التعميم فيحدث عند إطلاق اسم نوع خاص من الجنس على الجنس كله، مثل: إطلاق الورد على الزهر عموماً، فكلمة (Blume) تعني (زهرة) ولكنها اختفت من بعض اللهجات الألمانية وحل محلها كلمة (Rose) وتعني (وردة) ومن أمثلته في العربية إطلاق كلمة (البأس) على كل شدة وهي في الأصل تعني الحرب، ومن الانتقال في العربية إطلاق كلمة (الشجرة) على النخلة، والذباب على الطير.⁽²⁾

ومن خواص التطور الدلالي إنه يحدث ببطء ويتدرج وأحياناً تبتعد الكلمة الأخيرة عن الأولى بعداً شاسعاً، فكلمة (bureau) الإنجليزية كانت تطلق على نوع خاص من الأقمشة، ثم أطلقت على غطاء مائدة المكتب لأنها تتخذ من ذلك القماش، ثم أطلقت على مائدة المكتب، وأخيراً أطلقت على مقر العمل والإدارة لملازمة المكتب لهما.⁽³⁾

ومن خصائصه إنه تطور جبيري وتلقائي ومقيد بالزمان والمكان، ومطرّد إذا حدث في بيئة ما ظهر أثره في كل البيئة، ومعرفة خصائص هذا التطور الدلالي واتجاهاته ومظاهره تساعد كذلك في تفسير بعض الظواهر اللغوية، وفي دراسة اللهجات وبعض الجوانب المتعلقة بتعليم اللغات.

سادساً علاقة اللغة بالفكر، لقد ذكرت تعريفات اللغة، أن اللغة وسيلة للتعبير عن الأغراض والمشاعر والأحاسيس وهذا يعني وجود المشاعر والأحاسيس أولاً ثم التعبير عنها بواسطة اللغة بعد ذلك، فهل يمكن أن نقول أن اللغة وسيلة للتعبير عن الفكر؟ وهل هناك فكر مجرد لا يعتمد على اللغة أم أن اللغة والفكر شيء واحد؟ أم أن اللغة هي ترسم مسار الفكر وتحدد له حدوده؟

تكشف الإجابة عن هذه الأسئلة عن العلاقة بين اللغة والفكر، ولكن ليس من السهل الإجابة عن هذه الأسئلة وذلك بسبب تعدد الآراء، فلعلماء النفس رأيهم ولعلماء الاجتماع رأيهم ولعلماء اللغة رأيهم، ولا يهمنا كثيراً مناقشة تلك الآراء، ولكن الذي يبدو لنا أن هناك صلة قوية بين اللغة والفكر، من الواضح أن اللغة تأثيراً كبيراً على طريقة تفكير الفرد الذي يتكلم لغة معينة إلا أننا لا نستطيع أن نقول أن الفكر يتكون أولاً ثم تتبعه اللغة المعبرة عنه أو بالعكس، وعليه من الأسلم

(1) د. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، ص 29.

(2) فندريس، اللغة، ص 260.

(3) د. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 215.

القول بأن اللغة والفكر يعتمد كل منهما على الآخر إلى حد كبير، فنحن لا نستطيع أن نفكر أبعد من قدرتنا اللغوية، كما لا نستطيع أن ننطق بما لا نستطيع التفكير فيه.⁽¹⁾ سابعاً وظيفة اللغة الأولى هي الاتصال، اللغة تقوم بوظائف كثيرة ولكن هذه الوظيفة يراها العلماء بأنها الأهم، وفي هذا العصر ظهرت بحوث جديدة تضافرت فيها جهود علماء الاجتماع وعلماء الأجناس البشرية، وعلماء اللغة لمعرفة وظائف اللغة وعلاقتها بالمجتمع، لأنه في القديم يسود القول بأن اللغة وظيفتها التعبير عن الفكر، كما كانت الموضوعات المتعلقة باللغة تبحث متفرقة.

ولكن كلمة (الاتصال) التي يفضلها المحدثون فيها شيء من غموض الدلالة لأن الاتصال قد يتم بين البشر بطرق غير لغوية، ولكن يمكن أن ننظر إلى اللغة باعتبارها مظهر من مظاهر السلوك الإنساني له ارتباط وثيق بكل مظاهر السلوك الأخرى، واللغة هي التي تعبر عن غيرها من مظاهر السلوك البشري، لذلك كانت من أهم تلك المظاهر السلوكية وهذا هو السبب الذي وضع وظيفة الاتصال في المقدمة.

والوظائف الأخرى التي تؤديها اللغة لا تتم إلا عبر الاتصال، إذن لا مفر من جعل الاتصال الوظيفة الأهم والأولى بالنسبة للغة، مع تحديد مدلول كلمة الاتصال أو تقييدها إن تطلب المقام.

(1) د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية، ص 178.

2/ علم اللغة وعلم النفس:

أجمع العلماء على أن وظيفة اللغة الأولى هي إقامة التواصل، ولما كانت اللغة هي المسؤول الأول عن التواصل بين الناس؛ فإنه يستحيل إتقان اللغة دون امتلاك الإنسان قوى عقلية ذات آلية معينة تمكنه من التكلم، فاللغة ليست مجرد إصدار أصوات عشوائية من أعضاء النطق الإنساني، إنما هي الأداة التعبيرية الأولى في التواصل، ومهما كانت دوافع هذا التواصل فإنه يحدث في ذهن كل من المتكلم والسماع قبل مرحلة الكلام وأثناءها وبعدها عمليات عقلية نفسية بحتة كالتفكير والإدراك والتذكر وغيرها.

شكلت هذه العلاقة التعبيرية في الفكر الإنساني بين الكلام والتفكير مزيجا معرفيا لا ينفصم تتعاضد فيه مخرجات علم اللسان وعلم النفس، فغدت صناعة الكلام نقطة تقاطع اهتمام علم النفس واللغويين.⁽¹⁾ وقد أرك علماء النفس ومنهم (جان بياجيه) العلاقة بين القدرة المعرفية والمكتسب اللغوي مؤكدا عدم قدرة الإنسان منذ مراحل الأولى في التكوين اللغوي على استخدام اللغة دون إدراك المفاهيم التي تمتلكها كلمات تلك اللغة.

واستنادا إلى هذا قرر علماء النفس أن اكتساب اللغة عملية ذهنية تحدث داخل النظام المعرفي في باطن العقل البشري، وهذا النظام هو المسؤول عن آلية العمل في العقل، ويقوم على أداء ثلاث وظائف: الاكتساب والتخزين والاسترجاع، ونجد أن علماء اللغة أدركوا أهمية هذه الدراسات النفسية في تطوير الدرس اللغوي، ومن أوائل الذين دعوا إلى أهمية تطبيق المنهج النفسي في علم اللغة، الأمريكي بلومفيلد، وسكينر، ونعوم تشومسكي الذي أقام فكره اللغوي على منهج الفكر النفسي والبحث في البنى العميقة وعمليات العقل في إنتاج الكلام، واتكأ كثيرا على خلاصة ما قدمه أرباب نظريات النمو المعرفي (بياجيه، برونر، جانيه) موظفا نتاج تلك النظريات بوضوح في نظريته التوليدية التحويلية، مستعينا بدور علماء النفس في شرح طبيعة العمل العقلي في إنتاج اللغة وفهمها وتحليلها.⁽²⁾ وعلى لك فإن العلاقة بين اللغة والنفس علاقة قارة وثابتة، وترتب على هذا التبادل المنهجي النفعي بين العلمين اللغوي والنفسي أن حدث تداخل مفاهيمي ومصطلحي بينهما، ونشأ عن هذا الامتزاج البيئي فرعين في ساحتي الدرس النفسي واللساني على التوالي هما: علم النفس اللغوي، وعلم اللغة النفسي.

إن علم النفس اللغوي في مفهومه العام: فرع من فروع المعرفة يهتم بالبحث في العلاقات النفسية لمستخدمي اللغة وصور التواصل، ويعالج في مفهومه الخاص موضوع اللغة من حيث كونه مرتبطا بالخصال الفردية أو العامة لمستخدمي اللغة ليشمل العمليات العقلية التي تحدث

(1) د. جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياها، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1989م، ج/1، ص37.

(2) ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986، ص121.

عند إنتاجها أو فهمها فيما يسمى بفك الترميز (الاستقبال والفهم).⁽¹⁾ أو هو العلم الذي يهتم بالقدرة الذهنية النفسية ويستعرض دورها في فهم اللغة وإنتاجها من خلال المعرفة العامة باللغة والتفكير والإدراك وحدود الانتباه والذاكرة والتخيل وغيرها، مما يعني أن الإنسان يمارس النشاط اللغوي عن طريق نظام معرفي عام يندرج تحته أنظمة معرفية خاصة بإنتاج ما يريده من الكلمات والجمل والتراكيب اللغوية، وفهم ما يتعرض له من تراكيب لغوية في حياته اليومية. وأهم مجالاته التفكير والإدراك والذاكرة والانتباه والذكاء الإنساني والتصور العقلي والتخيل.⁽²⁾

أما علم اللغة النفسي فهو أحد أهم العلوم التطبيقية التي انبثقت من ميدان علم النفس المعرفي وهو فرع علم النفس العام الذي يدرس الكيفية التي تكتسب بها المعلومات التي يتم تحويلها إلى علم ومعرفة، والكيفية التي تستخدم وتوظف هذه المعلومات في إثارة الانتباه والسلوك، كما يُعنى بالعمليات العقلية التي يستخدمها الإنسان عند استقبال المعلومة ومعالجتها وتخزينها واسترجاعها عند الحاجة. وهو علم حديث لم يتبلور إلا في أوائل الستينات من القرن الماضي وإن ظهرت الراهصات قبل ذلك، وهو أيضا علم هجين يتكون من علمين معا: علم اللغة وعلم النفس ولكن رغم حداثة فقد حقق نجاحا مبهرا وذلك لسببين هما: أنه لم يبدأ من الصفر؛ بل من حيث انتهت منجزات علم النفس اللغوي، وبسبب غزارة النظريات والظواهر اللغوية التي تراكمت عبر السنين إلى أن وجدت طريقها للدراسة والتحليل.⁽³⁾ وذكر علماء النفس تعريفات كثيرة لعلم اللغة النفسي، منها:

- دراسة اللغة الإنسانية وفهمها وإنتاجها واكتسابها.⁽⁴⁾

- علم يدرس ظواهر اللغة ونظرياتها وطرق اكتسابها وإنتاجها من الناحية النفسية، مستخدما أحد مناهج علم النفس.⁽⁵⁾

- إنه العلم الذي يهتم بدراسة العمليات العقلية التي تتم في أثناء استعمال الإنسان للغة فهماً وإنتاجاً كما يهتم باكتساب اللغة نفسها.⁽⁶⁾ "علم يهتم بدراسة السلوك اللغوي للإنسان والعمليات النفسية والعقلية المعرفية التي تحدث أثناء إنتاج اللغة واستعمالها".⁽⁷⁾

(1) داوود عبدة، محاضرات في علم اللغة النفسي، الكويت، المطبوعات الجامعية، ط1، 1984م، ص167.

(2) المرجع السابق، ص173.

(3) عبد القادر محمد مايو، علم نفس اللغة من منظور معرفي، دار القلم العربي، ط1، 1998م، ص22.

(4) فاروق عثمان السيد، سيكولوجية الفروق الفردية والقدرات العقلية، دار القلم، بيروت، ط2، 1989م، ص10.

(5) المرجع السابق، ص13.

(6) العصيلي، علم اللغة النفسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ط1، 2006م، ص20.

(7) المرجع السابق، ص25.

-دراسة العوامل النفسية والعصبية الحيوية التي تمكن الإنسان من اكتساب واستخدام وفهم وإنتاج اللغة".⁽¹⁾

-دراسة تجريبية للعمليات النفسية التي يكتسب المرء من خلالها نظام اللغة الطبيعية ويقوم بتنفيذه"⁽²⁾.

-فرع من فروع علم اللغة، يدرس العلاقة بين السلوك اللغوي والعمليات النفسية التي يعتقد أنها تفسر ذلك السلوك".⁽³⁾

-وعرفته الباحثة النفسية جين بيركو جليسون تعريفاً أقرب إلى ميدان علم النفس منه إلى ميدان علم اللغة فقالت: "إنه العلم الذي يهتم بالكشف عن العمليات النفسية التي تقود الإنسان إلى اكتساب اللغة واستعمالها"⁽⁴⁾.

يهتم علم اللغة النفسي بدراسة الترابط بين العوامل اللغوية والعوامل النفسية وبالقدرات الإدراكية والعمليات اللازمة لإنشاء تراكيب لغوية سليمة بالاستعانة بالقواعد والمعجم المخزن في العقل البشري، كما يهتم بكيفية إدراك المستمع أو القارئ لتلك التراكيب.

ولعلم اللغة النفسي مجالات تتمثل في: فهم اللغة المنطوقة والمكتوبة، واكتساب اللغة وتعلمها والمشكلات والاضطرابات اللغوية، لغة الإشارة، سيكولوجية القراءة، والتخلف العقلي، اللغة الانفعالية التي تهتم بكشف العلاقة بين اللغة والأمراض النفسية.⁽⁵⁾

بالرجوع إلى المادة المعروضة تجد تداخلاً كبيراً بين مجالات علم النفس اللغوي وعلم اللغة النفسي، وهذا أمر طبيعي فميدان الدراسة واحد (اللغة وإنتاجها وفهمها)، والحق أن الفروق بين العلمين ترجع إلى درجة الاهتمام والتخصص، فأهل علم النفس يفضلون تسمية علم النفس اللغوي، وأهل علم اللغة يفضلون تسمية علم اللغة النفسي.

(1) السيد محمود أحمد، علم النفس اللغوي، جامعة دمشق، ط2، 1995، ص12.

(2) المرجع السابق، ص17.

(3) جلال شمس الدين، موسوعة مرجعية لمصطلحات علم اللغة النفسي، الإسكندرية، مطبعة الانتصار للطباعة والنشر، 2003م ص441.

(4) المرجع السابق، ص442.

(5) د. جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياها، ص47.

3/ الأبعاد النفسية اللغوية:

البُعد في اللغة: اسم بمعنى مسافة، وبعد الشُّقَّة، هو اتساع المسافة أو الفجوة والجمع أبعاد والبعد: اتساع المدى، ومنه بعد الصيت: سعة الشهرة، وبعد النظر: عمق التفكير وحسن الرأي والتدبير، وهو ذو بعد: أي ذو رأي عميق. وبعد الهمة: علوها.⁽¹⁾ والأبعاد هي امتدادات تقاس بها الأشكال أو المجسمات، وهي ثلاثة: الطول، والعرض، والارتفاع، لذا يقال: ثلاثي الأبعاد أي متكون من ثلاثة أبعاد أو جوانب؛ طول وعرض وارتفاع. لذا فإن (أبعاد الجسم) تعني قياس الجسم في اتجاه معيّن. وأبعاد مسألة ما هي المظاهر العملية لها. يقصد بأبعاد الشيء: مداه واتساعه وأعماقه وما يتعلق به من أفكار واستراتيجيات مهمة.⁽²⁾

أما البعد النفسي فإنه يعني مدى السلوك والتصرفات التي تتبلور في الذات الإنسانية عبر متواليات الزمن، فتحدد صورة لطبيعة وميول الشخصية ومزاجها وميزاتها النفسية والخلقية.⁽³⁾ وعليه فالبعد النفسي يتناول وصف مدى اتساع عملية التواصل وشمولها للجوانب النفسية المؤثرة في اللغة وسمات مظاهرها المختلفة، من شدة أو ضعف، ووضوح أو غموض، وسرعة أو بطء كما يشمل كفاءة وقدرة الاستراتيجيات المستخدمة في مدى تحقيق تواصل فاعل ومؤثر.⁽⁴⁾ تضم الأبعاد النفسية المؤثرة في التواصل اللغوي مختلف العمليات العقلية من تفكير وإدراك وتخيل وتحليل وتذكر وانتباه وتخزين واسترجاع بالإضافة للانفعالات المختلفة فهذه كلها تنعكس على عملية التواصل اللغوي لصلتها المباشرة والوطيدة بعملية إنتاج اللغة وفهمها. وبما أن اللغة هي الأساس في عملية التواصل يكون البعد التواصل اللغوي مدى قدرة اللغة في ربط أركان عملية التواصل، وتمثلها لكل حاجات الأطراف المتواصلة الثقافية والاجتماعية والنفسية والتربوية والتعليمية. وتبدو العلاقة بين الأبعاد النفسية والتواصل اللغوي واضحة في لغة خطاب الحياة اليومية بكل أنواعه ومستوياته. مما جاء في كتب النقد الأدبي "أن عبد الملك بن مروان سأل أرتأة بن سهية: أتقول الشعر اليوم؟ فقال: والله ما أطرب، ولا أعضب، ولا أرغب وإنما يجيء الشعر عند إحداهن".⁽⁵⁾ رد الشاعر أرتأة يبيّن بجلاء قوة الارتباط بين المنتج اللغوي والأبعاد النفسية على اختلافها وتباين أسبابها.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار القلم، بيروت، لبنان، ط6، ج/3، ص398.

(2) عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، ط1، 2003م، ص41.

(3) باختين ميخائيل، الخطاب الروائي النفسي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، ط1، 1987م، ص65.

(4) عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظريات التواصل، دار الحوار، دمشق، سوريا، ط1، 2003م، ص23.

(5) حبيب مونسي، نقد المنجز في النقد العربي- دراسة في المناهج، دار الأديب، وهران، الجزائر، 2007م، ص94.

4/ لغة خطاب الحياة اليومية:

تعددت مفاهيم الخطاب في علم اللسانيات بسبب تعدد الاتجاهات الفكرية، من ذلك قولهم: "الخطاب مجموعة من الملفوظات التي تبرهن على موضوع واحد تأسيساً على مجموعة من المعطيات"⁽¹⁾ وكذلك قولهم: "كل تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً ويهدف فيه الأول إلى التأثير في الثاني بطريقة ما"⁽²⁾ وغيرها من المفاهيم الكثيرة التي تناولت الخطاب بالتحليل، وتجمع كلها ثلاث سمات رئيسة تتوفر في الخطاب هي: وجود المتلقي لحظة إلقاء الخطاب، واعتماد الخطاب على اللغة الشفوية أكثر من اعتماده على طرق التعبير اللغوي الأخرى، وأن الخطاب يعد إنجازاً لغوياً يربط بين بنيته اللغوية وظروفه المقامية.

تؤكد هذه السمات أن اللغة هي الركن الرئيس في تشكيل الخطاب الذي يعتمد في الأساس على اللغة المتبادلة بين المنتج والمستقبل، وهذه اللغة (لغة الحياة اليومية) لها خصائص وسمات خاصة تميزها، فهي لغة طبيعية مكتسبة دون قيود أو شروط، ليست كاللغات الصناعية أو الاصطلاحية أو الافتراضية التي توجد في كتب القواعد المعيارية، ويفترض فيها أن تعبر عن جميع العلاقات والحاجات الإنسانية، يفهمها الصغير والكبير والمتعلم وغير المتعلم، مشتركة بين جميع الأفراد يستعملها الابن والأب والأم والأخ والأخت والمعلم والتلميذ والتاجر والطبيب والجندي والرئيس وكل فرد في المجتمع، وهي سهلة التداول، خالية من التعقيد والغرابة، قادرة على تلبية حاجاتهم، ونقل انفعالاتهم، وتقوية تفاعلهم.

إن لغة الحياة اليومية ناشئة من الازدواجية بين الفصحى المجودة التي تكتب بها الآداب وتؤلف بها الكتب، والعامية التي تمثل لغة الكلام، وهي قريبة من الفصحى متأثرة بها فتكون متوسطة بين الفصحى والعامية، تمثل لغة التبادل اليومي والخطاب المتداول، ويمكن القول أنها اللغة الفصيحة العصرية الدائرة على الألسن في الحياة اليومية.

وبناء على انتشار لغة الكلام وكثرة تداولها ودورها المحوري في تشكيل الخطاب التداولي بين الأطراف، فإن مفهوم الخطاب المرتبط بهذه اللغة هو اللفظ المقصود به إفهام السامع، والمرتبط بعلاقات التواصل والتفاعل مع الآخر، ومع الممارسات اليومية. وكذلك هو اللفظ الناقل للمعلومة والتجربة إلى المتلقي، وهو ممارسة ثقافية تفاعلية اجتماعية تتجاوز في كثير من الأحيان القواعد اللغوية الصارمة، فيمكن أن يكون الخطاب اليومي سؤالاً أو مثلاً يضرب، أو قصة تحكى، أو بيت شعر يلقي، فيشمل كل ما يتبادلته الأفراد في شؤونهم اليومية.

(1) محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 2005م، ص7.

(2) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية-بنية الخطاب من الجملة إلى النص، الرباط، 2001م، ص21.

الفصل الثاني: التشكيل اللغوي لخطاب الحياة اليومية

- 1/ تشكيل خطاب الحياة اليومية
- 2/ خصائص خطاب الحياة اليومية
- 3/ وظائف خطاب الحياة اليومية

1/ تشكيل خطاب الحياة اليومية:

عرفَ الدرس اللساني الحديث مفاهيم كثيرة مرتبطة بالتواصل اللغوي منها: مفهوم الخطاب وبنية الخطاب وتشكيل الخطاب، سنلقي الضوء على هذه المفاهيم (الخطاب، البنية أو البنيوية والتشكيل) ثم نأخذ بالمصطلح الأدق لتوصيف لغة خطاب الحياة اليومية.

أ- الخطاب: يجد الباحث في الدراسات اللسانية التي عنيت مؤخرا بتحديد مفهوم الخطاب مفاهيم متعددة قامت على اتجاهات مختلفة، نذكر بعض تلك المفاهيم ثم نجمع بينها، منها:
- "الخطاب مجموعة من الملفوظات التي تبرهن على موضوع واحد تأسيسا على مجموعة من المعطيات"⁽¹⁾. هذا المفهوم جعل للخطاب طولاً محددا يتجاوز الجملة، كما ركّز على الوحدات اللغوية التركيبية التي تشرح فكرة ما أو مجموعة من الأفكار.

- "كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا ويهدف فيه الأول إلى التأثير في الثاني بطريقة ما"⁽²⁾. لم يحدد هذا المفهوم طول الخطاب ولكنه نظر إلى استعمال اللغة ووظائفها وإلى أركان الخطاب وهي وفق هذا التصور: المتكلم، المتلقي، الملفوظ وقصد التأثير وأخيرا التفاعل والتواصل.

- "الخطاب فعالية مشتركة في مبدأ الحوار، باعتبار أن الظاهرة الأساسية في هذه الفعالية هي الحوار"⁽³⁾. ابتعد هذا التصور للخطاب عن البنيوية اللغوية واعتمد كثيرا على اعتبارات أخرى مثل: السياق المصاحب، والمتحاورين وخلفياتهم الثقافية وغيرها من العناصر التي يشملها أسلوب الحوار.

- "الخطاب أصل كل تعامل كائنا ما كان، لكن ما هيته ليست في مجرد إقامة علاقة تخاطبية بين جانبيين فأكثر، لأن هذه العلاقة على قدرها وفائدتها قد توجد حيث لا يوجد طلب إقناع الغير، وقد يحصل القصدان المطلوبان في قيام هذه العلاقة وهما قصد التوجه إلى الآخر، وقصد إفهامه، من غير أن يسعى إلى رد اعتقاد أو جلب انتفاع، وإنما حقيقة الخطاب تكمن في كونه يضيف إلى القصدين التخاطبيين المذكورين قصدتين معرفيتين هما: قصد الادعاء وقصد الاعتراض. والمراد بالادعاء هو اعتقاد المتكلم لما يقول وامتلاك القدرة على الاستدلال والاعتراض هو كون المنطوق له حق مطالبة الناطق بالدليل على ما يدعيه"⁽⁴⁾.

تصور الخطاب من القول أعلاه إنه يقوم على عملية الاتصال والقصد وليس مجرد تخاطب بين طرفين وبالتالي فإنه وسَّع مفهوم الخطاب لأنه لم يقيد الاتصال، كما أضاف قصدي الادعاء والاعتراض.

(1) محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط/1، 2005م، ص7.

(2) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية-بنية الخطاب من الجملة إلى النص، الرباط، 2001م، ص21.

(3) أوليفي روبو، لغة التربية - تحليل الخطاب البيداغوجي، ترجمة عمر أوكان، مكتبة أفريقيا الشرق، 2002م، ص41.

(4) محمد عابد الجابري، تحليل الخطاب العربي المعاصر، دار الطبعة، بيروت، ط/1، 1985م، ص60.

- "الخطاب هو الصيغة الطبيعية للكلام الأوسع والشامل بل بإمكانه أن يستقبل كل الأشكال".⁽¹⁾ هذه النظرة للخطاب مبنية على أن كل أشكال الكلام تعد خطابا.

التصورات المذكورة لمفهوم الخطاب تكاد تمثل كل الاتجاهات التي تناولت الخطاب بالتحليل كالانجاء اللساني البنيوي والاتجاه التداولي الاجتماعي والاتجاه النفسي وكلها متداخلة ومعنية بدراسة الخطاب الذي بات يشكل نقطة التقاء علوم ومعارف كثيرة تهدف إلى تحليل الخطاب. يقول جابر عصفور: "فخطاب الخطاب يجمع في نسيجه العلائقي ما يصله بدوائر علوم اللغة والاجتماع والسياسة والفلسفة والتاريخ والأدب...والدراسات الثقافية والأدبية وغيرها".⁽²⁾

يميل الباحث إلى الأخذ بالرؤى التي تنظر إلى الخصائص التي يتمتع بها الخطاب والمرتبطة بالتداول اليومي بين الأفراد، على أساس أن الخطاب هو السياق التداولي والإنتاج اللفظي للغة وثمرته الملموسة المرئية. وتظهر أهمية هذه النظرة من خلال جمعها بين مظهرين أساسيين في تشكيل الخطاب: المظهر الخارجي المتعلق باللغة ويمثله التركيب الصوتي والنحوي والمظهر الداخلي المتعلق بالخطاب ويمثله سياق المقام، وعليه فإن الخطاب التداولي يتسم بالآتي: وجود مُرسِل ومُستقبِل، وأنه يحمل رسالة ما غالبا ما تكون شفوية، ويعتمد على اللغة اليومية ويرتبط بظروفه المقامية.

ب-البنويوية: نشأت البنيوية في الغرب كمذهب فكري معرفي أساسه الاهتمام بالنظام العام لفكرة أو لعدة أفكار مرتبطة ببعضها، وتعرف باسم البنائية أو التركيبية.⁽³⁾ وقد كثرت تعريفات البنيوية يرى ليفي ستراوش أن "البنيوية مجرد طريق أو منهج يمكن تطبيقها في أي نوع من الدراسات تماما كما هي بالنسبة للتحليل البنيوي المستخدم في الدراسات والعلوم الأخرى".⁽⁴⁾ إذن هي منهج يقوم على فكرة عامة أساسها أن الأشياء تتكون من أجزاء وهي في حقيقتها نتاج للعلاقات التي تربط تلك الأجزاء وتجمعها وكذلك يبين قول ليفي أن البنيوية تصلح للتطبيق في كل الدراسات.

ويرى جان بياجيه أن البنيوية: "طريقة بحث في الواقع ليس في الأشياء الفردية بل في العلاقات بينها" وذكر خصائصها وهي: الكلية والتحويلات والتنظيم الذاتي.⁽⁵⁾ بينما يرى ليونارد جاكسون أن البنيوية تعني: "القيام بدراسة ظواهر مختلفة كالمجتمعات والعقول واللغات والأساطير بوصف كل منها نظاما تاما أو كلا مترابطا، أي بوصفها بنيات، فتتم دراستها من حيث أنساق ترابطها

(1) سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط/4، 2005م، ص15.

(2) جابر عصفور، خطاب الخطاب، دار مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، دبي، الإمارات، 1999م، ص35.

(3) فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف الغزي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986م ص83.

(4) إبراهيم السعاقين وعبد الله الخياص، مناهج تحليل النص الأدبي، منشورات جامعة القدس، ط1، 1993م، ص68.

(5) جان بياجيه، البنيوية، ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات دار عويدات، بيروت، ط3، 1982، ص9.

الداخلية لا من حيث هي مجموعات من الوحدات أو العناصر المنعزلة، ولا من حيث تعاقبها التاريخي".⁽¹⁾

وتهدف البنيوية من وجهة نظر روادها إلى تحقيق تصور أو رؤية كاملة عن الشيء من خلال النظر إليه عبر مكوناته الجزئية وعلاقاتها وعلاقته بغيره، وعليه فإن قيمة الشيء ليست في ذاته وإنما تكمن في علاقاته بغيره، لذلك ركز البنيويون على العلاقات بين الأشياء وعدم الأخذ بالفردية أو الاستقلالية.⁽²⁾

امتدت هذه النظرية إلى علوم اللغة فظهرت البنيوية اللغوية كما برز علم اللغة البنيوي واللسانيات البنيوية وكلها تقوم على أساس أن تحليل أي عنصر من عناصر اللغة لا يتم بمعزل عن العناصر الأخرى في النظام اللغوي. وتطبق اللسانيات البنيوية المنهج الوصفي في دراسة اللغة فتتأمل إليها على أنها وحدات صوتية تتجمع لتكون وحدات صرفية وتكون هذه بدورها العبارات والتراكيب. وتضم البنيوية عددا من المدارس اللغوية تمثل آراء واتجاهات روادها، ويعد دي سوسير من أبرز رواد البنيوية وإليه يرجع الفضل في تقعيد كثير من قواعدها.

وقد وجّه بعض العلماء انتقادات كثيرة للبنيوية التقليدية تمثلت في الآتي: أنها اهتمت بالشكل على حساب المعنى، وأنها لم تتجاوز وصف المكونات المباشرة للغة، كما أنها لم تستطع أن تحلل كل الجمل بسبب الطول وتشابك العلاقات.

ليس من غرض البحث الخوض في دراسة ونقد الاتجاهات الفكرية التي حللت الخطاب اللغوي، ولكن البحث يأخذ بنقاط التلاقي، غاية التحليل البنيوي هي التعرف على القوانين التي تنتظم حركة الأجزاء، وهي بذلك تعد منهجا عمليا يمكن تطبيقه بدرجة كبيرة، كما أنها ترصد السياق اللغوي ودوره في الدلالة رصدا دقيقا وبالتالي تقدم تحليلا لغويا جيدا، ويعاب عليها أنها أهملت أثر العناصر الخارجة عن السياق اللغوي في المعنى؛ لأن سياق المقام له أهمية كبيرة في تجلية وبيان المعنى، وعليه فإن لغة الحياة اليومية التي تعد العنصر الأساس في تشكيل الخطاب التداولي اليومي تتعلق تعلقا مباشرا بظروف إنتاج الخطاب وسياقه المقامي.

لذا فإن تشكيل الخطاب التداولي اليومي يركز مقارباته على الشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلية الذي يتحدث فيه المتكلم.⁽³⁾ وكذلك هو دراسة المعنى التواصلية أو معنى المرسل، في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه، بدرجة تتجاوز معنى ما قاله.⁽⁴⁾

(1) صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1987، ص2، ص187.

(2) المرجع السابق، ص189.

(3) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، لونغمان، القاهرة، ط1، 1996، ص25.

(4) عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004، ص22.

ننتهي إلى أن الخطاب اليومي يجمع بين كل أطراف الحدث اللغوي لنقل المعنى، فيبدأ بأفعال اللغة، ثم ينتقل إلى المتكلم وقصده وثقافته وشخصيته وكذلك المستمع، ويضيف المعرفة المشتركة بينهما وعلاقتها الاجتماعية، وأخيراً ظروف إنتاج الخطاب المقامية كلها بما في ذلك الزمان والمكان، لتكون المحصلة النهائية فهم اللغة ودراستها في الاستعمال أو التواصل.

ج- التشكيل: اهتم الدرس اللساني الحديث بمصطلح التشكيل وأثره في بناء النصوص وخاصة الأدبية، وقد تعددت مفاهيمهم للتشكيل اللغوي، من ذلك قولهم:

"إن التشكيل عملية مركبة تتم في نسيج متشابك معقد على جميع المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية في آن معا".⁽¹⁾ يشير التعريف إلى أن التشكيل اللغوي عملية شاملة لجميع المستويات اللغوية.

- "التشكيل عملية يقوم بها المبدع يظهر من خلالها مهارته وموهبته الإبداعية بحيث يراعي فيها كل العناصر المكونة للعمل الأدبي".⁽²⁾ ركّز التعريف على دور منتج النص أو الخطاب ومدى ارتباط أسلوبه بمقتضى الحال.

- ليس التشكيل إلا الدقة في استعمال الكلمات والجمل والفقرات في النص قصد تمكينها من الحرية والحيوية في إدراك قوة دلالاتها وجمالها التعبيري وجمالها الأدبي.⁽³⁾ ربط المفهوم بين دقة الاختيار للمفردات والعبارات وكيفية استعمالها وصولاً إلى النص المتكامل.

- التشكيل هو النظر إلى النص نظرة متكاملة تشمل المعطيات التركيبية والدلالية والصوتية والمعجمية وتوظيفها لنقل تجربة الأديب والكشف عن فضاءات النص وأبعادها وأهميتها.⁽⁴⁾ يتبين أن المراد بالتشكيل اللغوي هو دراسة وظائف المستويات اللغوية التي تؤديها في التركيب، ويتناول العلاقات التي تنتظم تلك المستويات كل مستوى بمفرده ثم العلاقات بينها كوحدة واحدة في الخطاب.

بالرجوع إلى مفهوم البنية ومفهوم التشكيل تلحظ التداخل القوي بين المفهومين، ولكن هناك بعض الفروق المهمة: فالبنية عامة إذ تتناول المكونات الكبيرة للخطاب مثل: المقدمة والنص والخاتمة وأدوات التماسك والانسجام والوصل والفصل والأهداف وغيرها، أما التشكيل فهو أخص أو أدق إذ ينفذ إلى العناصر الأكثر دقة، مثلاً في الصوت يحلل التشكيل المكونات الصوتية الدقيقة وتكوينها وأثرها في المعنى ويطبق ذلك في كل المستويات اللغوية، وبالتالي التشكيل يهتم بالمعنى أكثر من البنيوية.

(1) سعد مصلوح، في النص الأدبي، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 2002م، ص36.

(2) مختار حبار، شعر أبي مدين التلمساني الرؤية والتشكيل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2002م، ص141.

(3) جودت فخر الدين، شكل القصيدة العربية في النقد العربي، دار المناهل، بيروت، ط3، 2004م، ص21.

(4) عبد القادر شرشار، التحليل الأدبي وقضايا النص، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2006م، ص28.

يتكون الخطاب من الأطراف الآتية:

الأول: المؤلف أو المنتج ويمثل في هذه السلسلة المتماسكة طرف الخطاب الأول، الذي يتجه به إلى الطرف الثاني ليكمل دائرة العملية التواصلية، بقصد إفهام مقاصده أو التأثير فيه وعليه أن يختار ما يتناسب مع منزلته ومنزلة المتلقي وفق ما يتطلبه موقعه الاجتماعي أو الوظيفي كما يتوخى اختيار ما يتناسب مع السياق العام.

فخطاب التاجر مع زبونه يختلف حتماً عن خطابه مع تاجر آخر مثله؛ كما يختلف خطاب ملك أو أمير مع أحد رعاياه عن خطابه مع شخص آخر من أئداده، وكذلك يختلف خطاب قائد عسكري مع زميله عن خطابه مع أحد ضباطه أو أفراده، كما أن مقاصد المرسل وأهدافه تتنوع بتنوع بعض العناصر السياقية، مما يفرض عليه أطراً معينة لا بد أن يستجيب لها فإن كان هدفه الإقناع فإنه يختار من المفردات اللغوية والآليات الخطابية ما يبلغه مراده، وإن كان هدفه السيطرة مثلاً، فإنه يعتمد إلى الأدوات التي تكفل تحقيقها، وتنعكس هذه العوامل بشتى شروطها في شكل الخطاب وآلياته، وتصبح عنصراً فعالاً في تحقيق مقاصد الخطاب وآثاره ونتائجه.

الثاني: المتلقي أو المرسل إليه طرف الخطاب الثاني الذي يشكل مع المنتج الفعل التواصلية وإليه تتجه لغة الخطاب التي تعبر عن قصد المرسل، وعليه فإنه يمارس دوراً مهماً في توجيه المرسل عند صياغة خطابه، انطلاقاً من علاقته بالمرسل وبموضوع الخطاب. مثلاً: عندما يطلب الابن من أبيه فيقول: لو تكرمت يا أبي أريد مبلغاً من المال، هذا الخطاب يترك أثراً في نفس الوالد بوصفه هو الذي يمارس تفكيك الخطاب ويؤوله ليفهم المراد.

وبناءً على مبدأ التداول فعلى المرسل إليه الاعتماد على المقام والظروف التي صاحبت الحدث التواصلية اللغوية للوصول إلى الدلالة الحقيقية المستورة في البنية العميقة، بمعنى أن المتلقي لم يعد عنصراً ثانوياً بل أصبح عنصراً أساسياً يوجه المعنى ويسهم في تشكيل الخطاب ويفسره بالرجوع إلى عناصر السياق الخارجية.

وعلى هذا الأساس لا بد للمتلقى من التفاعل مع الإنتاج اللغوي وبذل الجهد من أجل الفهم والبحث عن مواطن الجمال حتى تكتمل العملية التواصلية، فالهدف لا يتحقق إلا إذا فهم المتلقي القصد واستجاب له وتفاعل معه. وعلى المتلقي أن يتحلّى بمهارات واستراتيجيات حُسن الاستماع، والقدرة على فهم الرسالة، وأن تكون لديه الملكة التي تمكنه من تذوق لغة الخطاب فيبدي تفاعله معه. وهذه النقاط كلها تعد من صميم المبادئ التي تسهم في تشكيل الخطاب وتوجيهه.

الثالث: المقام أو سياق الحال بكل عناصره، فالخطاب يحيل على عناصر السياق الخارجية في إنتاجه وتشكيله اللغوي وكذلك في تأويله مما يفترض معرفة شروط إنتاجه وظروفه، وبالتالي تتجاوز عملية تشكيل الخطاب التصور المعياري للغة الذي يتوقف على الوصف التركيبي للغة لتصل إلى الاعتماد على البعد الوظيفي التواصلي للغة، بما في ذلك البعد النفسي الذي لا ينفصل عن السياق الاجتماعي البتة، ومراعاته خليق بتوجيه الانتقاء الذي يساعد على التلقي الهادف والتواصل الإيجابي، فكل أداء لغوي عبارة عن فعل كلامي حامل لمفهوم مقاصدي توجهه بطريقة ما الملابس والظروف المصاحبة لإنتاجه، كالحالة النفسية والاجتماعية والعادات والتقاليد والعناصر الجغرافية والتاريخية، الأمر الذي جعل من سياق الحال أكبر القرائن الدالة على المعنى.⁽¹⁾

يمثل سياق الحال طرفاً مهماً من أطراف تشكيل الخطاب، وخاصةً مكوّن العلاقة بين المتخاطبين سلبية كانت أم إيجابية فإنها تؤثر في تشكيل الخطاب، والزمان والمكان فما يصلح لزمن قد لا يصلح لزمن آخر، فتحية الصباح غير تحية المساء، وما يناسب مكاناً ما قد لا يناسب مكاناً آخر، ومعرفة عناصر سياق الحال تساعد في عملية التعبير عن المقاصد. ويعد الخطاب ثمرة اجتماع عناصر السياق وخاصةً (العلاقة بين المتخاطبين، الزمان، المكان) ففيه تبرز الأدوات اللغوية والآليات الخطابية المنتقاة ومن خلاله يمكن معرفة كيف تعامل المرسل مع ذاته ومع المرسل إليه (قربيه، أبعد أجله، أهانه، فرض عليه سلطته...) كل هذه التفاعلات تظهر في سياق الخطاب.

ولا يخفى كذلك ما للمكان والزمان من أثر في مقارنة المعنى بوصفهما من أهم عناصر سياق الحال قال ابن سنان الخفاجي: "إن مواضع الكلام تختلف بحسب الأغراض وتتغير بحسب الأزمنة والدول فإن العادة القديمة قد هجرت ورفضت، واستجد الناس عادة بعد عادة، حتى إن الذي يستعمل في الكتب اليوم غير ما كان يستعمل في أيام أبي إسحاق الصابي مع قرب زمانه منا..."⁽²⁾. أدرك ابن سنان بوضوح أهمية الزمان والمكان ودورهما في عملية تشكيل الخطاب وتحليله.

(1) محمد محمد يونس علي، المدارس اللسانية، المدرسة التداولية ظهورها وتطورها، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 2006م ص72.

(2) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، دت، ص248.

الرابع: المعنى أو الهدف يسعى الخطاب من خلال وظيفتيه النفعية والتفاعلية إلى تحقيق مقاصد معينة، قد تظهر مباشرة من شكل الخطاب وقد لا تظهر، وحينها تصبح لغة الخطاب شكلا دالا يقود إلى المدلولات الثانوية خلفه عبر المعطيات السياقية، والعلاقات التخاطبية، والمعلومات المسبقة التي يعرفها المرسل أو يفترض وجودها فيبني لغة خطابه عليها، كما يدركها المتلقي ليستدل بها على قصد المرسل.⁽¹⁾ وتظهر أهمية الهدف بوصفه مرتكزا من مرتكزات تشكيل الخطاب من خلال الآتي:

- أ-يساعد وضوح الهدف وفهمه في استمرار الحوار وضمان قوة تأثير الخطاب.
- ب-يمثل الهدف الواضح والمفهوم الأساس الذي ينبي عليه الحوار التالي، فإذا خفي الهدف لأي سبب أو لم يتمكن المتلقي من فهمه، فسينقطع الحوار ويتعطل التواصل.
- ج-يؤمّن الهدف الواضح وصول المعلومة المراد تبليغها إلى المتلقي كاملة.
- د-يسهل الهدف الواضح على المنتج اختيار الوسيلة والاستراتيجية الملائمة لتحقيقه (مفردات بعينها أساليب محددة، إشارات، صور، ...).
- هـ- يقوي وضوح الهدف العلاقة بين طرفي الخطاب (المنتج والمتلقي) وبالتالي يكون المناخ التواصلية أكثر تفاعلا وحيوية.

هذه الأطراف (المرسل، المتلقي، المقام، الهدف) مجتمعة تؤثر في تشكيل الخطاب، وعلى ذلك فإن عملية تشكيل الخطاب مزيج من النشاطات المزاجية والنفسية والاجتماعية والثقافية والمعرفية، ومن خلال هذا المزيج يتشكل الخطاب الذي يمثل رسالة يرسلها المنتج إلى المتلقي بغرض تحقيق هدف محدد، لذلك فإن لغة الخطاب التداولي اليومي ببساطتها وسهولتها وسرعة انتشارها وقدرتها على تحقيق الوظائف التواصلية، تتشكل وفقا لظروف المقام وأحوال طرفي التواصل المنتج والمتلقي إضافة إلى السياق اللغوي.

إن دراسة لغة الحياة اليومية تبين مدى دقة استعمالها للأصوات والمفردات والجمل والتراكيب في التعبير عن كل ما يدور في المجتمع، تعبيرا يشمل العمليات الجارية داخل نفس الإنسان وخارجها.

(1) نعمان بوقرة، التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون، مجلة الرافد، العدد 79، الجزائر، 2006م، ص 42.

2/ خصائص لغة الخطاب اليومي:

سبقت الإشارة إلى أن "الخطاب هو السياق التداولي والإنتاج اللفظي للغة" أي أن الخطاب يجمع بين سياق المقام والسياق اللغوي ليحقق الهدف، ومن ثم فالخطاب الهادف يستند على عنصرين:

الأول: البنية اللغوية التي تتشكل من المستويات الأربعة: الصرفي والصوتي والتركيبى والدلالي التي تشكل الوعاء الذي يحمل معنى الخطاب، والمقاصد التي يهدف إليها المتكلم، وعليه فإن الوصول إلى هذه الغاية يتطلب من المتكلم استراتيجية تمنح خطابه القدرة على تجاوز حدوده الظاهرة، ومجاله المألوف إلى خطاب أكثر عمقا وأكثر تأثيرا في المتلقي. فالبنية التركيبية القائمة على دراسة العلاقات الداخلية لوحدات اللغة ودراسة ما تحمله من معاني ودلالات تجعل الخطاب قادرا على التأثير في المتلقي؛ لأن المتلقي يستند إلى بنية النص الذي تحكمه القوانين النحوية حتى يصل إلى فهم النص ومقاصده، كما تعتمد بنية الخطاب اللغوية على المستوى الصوتي الذي يُعنى بالأصوات وكيفية إنتاجها عبر جهاز النطق، والوقوف على خصائصها الفيزيائية وتأثيرها في السامع، وهكذا المستوى الصرفي الذي يكشف عن أثر الزيادة أو الحذف في المعنى ومعرفة وظيفة الوحدات الصرفية في بنية الكلمة، ثم يأتي دور المستوى الدلالي الذي يبحث عن المعنى المتمثل في القصد والنتيجة من إنتاج الكلام، وبذلك تشتبك هذه المستويات الأربعة مع بعضها بعضا لتؤدي إلى فهم اللغة، وبالتالي فهم مقاصد المتكلم التي يتضمنها الخطاب.

الثاني: سياق الخطاب المقامي بكل شروطه، مضافا إليه دور العناصر الأخرى كلغة الجسد والإيماءات والإشارات التي تمثل معززات ومتطلبات ترافق الخطاب تساعد في نجاحه.

بناء على التحام العنصرين السابقين فإن لغة خطاب الحياة اليومية التي نقصدها ليست الفصحى العالية وليست العامية المبتذلة، بل هي اللغة التي يتحدث بها الأفراد في حياتهم اليومية، وتتميز بخصائص نحوية وصرفية وصوتية ودلالية لا تجعلها غريبة كلياً عن اللهجات العربية الأخرى بحيث يصعب فهمها وإلا استقلت بذاتها وأصبحت لغة قائمة لوحدها، كما تستند إلى حد بعيد على قواعد الفصحى في طريقة نطق المفردات من جهة، وترتيب الكلمات في تراكيب الجمل من جهة أخرى، وتستعير كما هائلاً من مفرداتها الفصيحة تعتمد عليها لنقل المعاني. وإذا حاولنا أن نتلمس بعض خصائص لغة الخطاب اليومي فإنه يمكن القول بأنه يتميز بالآتي:

أ- الخاصية الدلالية:

تناول الدارسون الدلالة وربطوها بالسياق الذي تحدثوا عنه حديثا مطولا لا حاجة لإعادته ولكني أميل إلى المفهوم العام الذي يجمع بين شقي السياق (اللغوي والمقامي) فالسياق بمفهومه العام: "هو مجمل الشروط الاجتماعية المتفق عليها، التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة، وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمرسل

إليه، والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما".⁽¹⁾ وفي إطار المفهوم الشامل لتشكيل الخطاب لأبد من الدمج بين العناصر التي تقع خارج الخطاب (المقام) وبين العناصر التي يتشكل منها الخطاب (السياق اللغوي) فأصبح النظر إلى لغة الخطاب بأنها أفعالاً ذات أبعاد ووظائف اجتماعية كثيرة، تخضع للضوابط والقوانين التي تتحكم في كل ملفوظ وتعدت تلك الضوابط البنية الشكلية إلى تضمين كل ما يتعلق بالمعنى في إطار البحث والدراسة.

إن تطبيق تلك الضوابط المتعلقة بالسياق اللغوي وربطها بالإحالة المقامية في عمليتي إنتاج الخطاب وفهمه، تجعل من الخطاب خطاباً، فهي تحقق له كماله وتؤمن له الاستمرارية الدلالية والفكرية وتجعله مقبولاً متداولاً مؤثراً، يمد مستقبله بالمعلومات الجديدة المفيدة كما تجعله مرناً يتفاعل مع غيره من الخطابات أخذاً وعطاءً، إذن السياق بشقيه هو المكان الطبيعي لبيان المعاني والقيم التداولية للكلمات.

والخطاب المفهوم هو القادر على مراعاة تمثيل السياقين (اللغوي والمقامي) وتتوفر هذه الميزة في لغة الخطاب التداولي اليومي بسبب بساطته وعدم ميله للتعقيد وسرعة تداوله لاعتماده على المشافهة ولدقة تعبيره المباشر عن أغراضه.

ب- خاصية الاكتساب:

تكتسب معظم طرق وأساليب وفنون الخطاب اليومي مشافهة بالاستماع إلى مفرداتها من الآخرين في سياق الأحاديث اليومية العابرة، وقد لا يكون المستمع طرفاً فيها، كما تكتسب عبر وسائل الاتصال والوسائط العديدة في هذا العصر الرقمي وقليل منها يكتسب عبر القراءة، وهذه الميزة جعلت الخطاب اليومي أكثر تداولية واستمرارية.

ج- الخاصية الاجتماعية

ظهرت اللسانيات الاجتماعية وفتحت أمام الباحثين مجالات أوسع لتناول المنتج اللغوي الإنساني من زوايا نظر جديدة، وأعدت النظر في طريقة التعاطي مع قضايا المعنى وفهم الرسائل الكلامية التي تصدر عن الناس.⁽²⁾ وإذا كان النشاط الإنساني عموماً يتجلى في الإطار الاجتماعي؛ فإن اللغة تقف على رأس هذا النشاط وهذا التجلي.

ويقصد بالإطار الاجتماعي "نسق العلاقات المستقرة والثابتة، والمتجددة في صلب مؤسسة المجتمع، التي توزع المراكز وتحدد المهام والمواقع المختلفة بين أعضاء الجماعة"⁽³⁾. وبهذا تعد اللغة الأداة الأكثر كفاءة في تأكيد خصائص المجتمع، ومن هذه الفكرة انبثق علم اللغة الاجتماعي.

إن وظيفة هذا العلم -كما يحددها علماءه- البحث في الكيفيات التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع والنظر في التغيرات التي تصيب بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة، مع

(1) علي آيت أوشان، السياق النصي (من البنية إلى القراءة)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000م، ص 15.

(2) بنكراد، سعيد، السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، اللاذقية، ط3، 2012، ص9.

(3) نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية، ص107.

بيان هذه الوظائف وتحديدها.⁽¹⁾ أما هدفه البعيد فهو التوصل إلى القواعد والضوابط التي تحكم الاستعمال الفعلي للغة في إطار المجتمع.⁽²⁾ ويقتضي تحقيق هذا الهدف ضرورة الوقوف على كيفية التفاعل بين اللغة والمجتمع، وتأثير كل منهما في الآخر، ويعتقد الباحثون أن مراعاة هذا الجانب الاجتماعي أصلاً من الأصول الكبرى التي يُعتمد عليها في التحليل اللغوي.

إنّ المعطيات الاجتماعية وفقاً لرؤية علم اللغة الاجتماعي أشبه بأداة يستعملها الخطاب ليتمكن من بناء وتحليل الأشكال اللغوية، ولا بد من تحديد المعطيات الاجتماعية المؤثرة في اللغة، والتي تشكل الإطار الاجتماعي للحدث الكلامي، ومن خلالها يمكن الربط بين الأشكال اللغوية والعناصر الاجتماعية الفعلية.⁽³⁾

وأكد باحثو علم اللغة الاجتماعي أن التركيب الاجتماعي يؤثر في شكل التركيب اللغوي ويستدلون على ذلك باختلاف لغة الأطفال عن لغة الكبار، واختلاف اللغة باختلاف الأصل الإقليمي أو الاجتماعي أو العرقي أو الجنس. وقد أظهرت بحوث بعض اللسانيين الاجتماعيين تعدد اللغات المتداولة في المجتمع الواحد ومنها بحوث (فيشمن) الذي أظهر الأبعاد المتصلة بالاستعمال الاجتماعي للغة، وهي: الانتماء إلى جماعة معينة، والعلاقات بين المتخاطبين وموضوع المخاطبة، ومجال التفاعل، وقناة الاتصال، والدور الذي يضطلع به الأفراد في التفاعل وغيرها، هذه النقاط توضح مدى ارتباط اللغة بالمجتمع والتأثير والتأثر المتبادل بينهما.

إذن الخطاب وإن كان يشكل بنية لغوية، فإن هذه البنية تعبر عن العلاقة التفاعلية بين الأفراد وتكشف عن المجال المعرفي الذي يسهم في تشكيل وعي الأفراد بعالمهم الاجتماعي، ذلك لأن اللغة التي يحتوي عليها الخطاب، وطبيعتها تسعى بالضرورة إلى تأسيس علاقات تواصل وتفاعل بين أفراد المجتمع، كما أن المجتمع هو الذي يحدد كيفية استعمال الأفراد للغة.

تعد لغة الخطاب التداولي اليومي من أبرز الأشكال اللغوية التي تعكس العلاقة بين اللغة والمجتمع وهي مظهر حي من مظاهر الاستعمال اللغوي، فهي قادرة على التعبير عن كل الجوانب الاقتصادية والسياسية والثقافية والأوضاع الاجتماعية، كلها تظهر في هذه اللغة وتؤثر فيها وتتأثر بها.

د-الخاصية النفسية:

يمكن النظر إلى الخطاب- وفق استراتيجية التحليل النفسي- بوصفه بنية كاشفة عن طبيعة النفس البشرية، وما تتسم به هذه البنية من وعي وإدراك، وقدرة على التقمص، والرغبة في تحقيق الذات. وتساعدنا هذه الاستراتيجية في التعرف على طبيعة الصورة الذهنية التي ترسمها

(1) هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، ط1، 1998، ص18.

(2) كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي: مدخل، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1994، ص47.

(3) مصطفى لطفي، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1976، ص67.

الذات لنفسها وللآخرين، وارتباط هذه الصورة بطبيعة النظام المعرفي والإدراكي للفرد، وما يترتب عليها من أحكام إيجابية أو سلبية تمثل أساساً لتقييم الآخر والحكم على سلوكه.⁽¹⁾ تدعو هذه النظرة النفسية إلى تشكيل الخطاب وتحليله مع حضور البنية الذهنية والنفسية في عمليات إنتاج وفهم الخطاب، وأوفي خلاصة توضح الارتباط بين اللغة والنفس ما قاله الجاحظ عن اللغة العربية: "قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، والمتخلخلة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره. وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها وهذه الخصال هي التي تقرّبها من الفهم، وتجلبها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهراً، والغائب شاهداً، والبعيد قريباً. وهي التي تلخص الملتبس، وتحل المنعقد، وتجعل المهمل مقيداً، والمقيد مطلقاً، والمجهول معروفاً، والوحشي مألوفاً، والغفل موسوماً، والموسوم معلوماً..."⁽²⁾

(1) جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياها، ص 67.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هرون، مكتبة الجاحظ، بيروت، د.ت، ص 78.

3/ وظائف خطاب الحياة اليومية:

إن دراسة وظائف اللغة من الموضوعات المتجددة ولا توجد وظائف محددة وثابتة للغة، ويتفق العلماء على أن وظيفة اللغة الأولى هي إقامة التواصل بين المجتمعات⁽¹⁾ وتتفرع عنها وظائف كثيرة تتمثل في الآتي:

الوظيفة النفعية (الوسيلية): وهذه الوظيفة هي التي يطلق عليها "أنا أريد"، والوظيفة التنظيمية ويعبر عنها بـ "افعل كذا ولا تفعل كذا"، والوظيفة التفاعلية: وهي وظيفة "أنا وأنت"، والوظيفة الشخصية: وتتعلق بتعبير الفرد عن ذاته، والوظيفة الاستكشافية: وتسمى الاستفهامية بغرض زيادة المعرفة، والوظيفة التخيلية: وترتبط بالإنتاج الإبداعي لدى الإنسان، والوظيفة الإخبارية وتسمى الإعلامية.⁽²⁾

وأضاف بعضهم وظائف أخرى منها: الوظيفة السلطوية والوظيفة الشعرية والوظيفة الرمزية والوظيفة المعرفية.⁽³⁾ وغيرها من الوظائف، ولكنها في مجملها لا تضيف شيئاً ذا أهمية للوظائف المذكورة آنفاً.

انطلاقاً من أن الوظيفة الأولى والرئيسة للغة (إقامة التواصل أو الاتصال)- كما اتفق العلماء- يمكن القول إن الوظائف اللغوية تدور مع العملية التواصلية، بمعنى أن اللغة ترتبط بأهدافها ووظائفها بناءً على مقتضيات عملية التواصل وعليه فإن أطراف التواصل وظروفه المقامية هي التي تتحكم في تحديد وظائف اللغة، وليس ثمة فرق كبير بين وظائف اللغة العامة ووظائف لغة خطاب الحياة اليومية؛ فالخطاب التداولي اليومي أساسه اللغة التي هي في الأصل نظاماً وظيفياً إذ أن كل مكون من مكونات بنيتها يهدف إلى تحقيق وظيفة محددة في قصد المرسل في التواصل بصيغة ما، وهكذا كلما استهدفنا التواصل الكلامي استحوذنا على مجموعة متنوعة من الوظائف اللغوية.

يؤدي الخطاب اليومي وظائف متعددة منها:

أ- الوظيفة التعبيرية الانفعالية:

تتمركز حول صاحب الرسالة، وتشير بتعبير مباشر إلى موقف المرسل، فهي تهدف إلى نقل انطباعاته وانفعالاته وموقفه، حيث يعبر المنتج عما في ذهنه بصيغ تعبيرية لغوية انفعالية تنقل المعاني المجردة إلى ذهن المتلقي⁽⁴⁾، وهذه الصيغ اللغوية تتأثر بالحالة الانفعالية وتوجه صاحب الرسالة إلى اختيار مفردات وتراكيب معينة دون الأخرى كما توجه المتلقي في كيفية فهم الرسالة والتعامل معها.

(1) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 37.

(2) علي عبد الواحد وافي، اللغة والمجتمع، ص 117.

(3) عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار صفاء، عمان، ط 1، 2002م، ص 32.

(4) خليل أحمد عميرة، في التحليل اللغوي، مكتبة المنار، ط 1، 1987م، ص 29.

ب-الوظيفة التأثيرية:

تدور هذه الوظيفة حول المتلقي أي ملتقط الرسالة، يحاول المرسل التأثير في المتلقي وجعله يغير موقفه أو سلوكه تجاه أمر ما، فينتقي المرسل ألفاظا وتراكيب ترتبط بالنداء أو التنبيه أو الترغيب أو الترهيب أو التحذير أو الإغراء، وغيرها من الأساليب اللغوية التي تتناسب مع الموقف.

ج-الوظيفة التفاعلية:

تتعلق الوظيفة التفاعلية بطرفي الخطاب ومدى قدرتهما على الاستمرار في التواصل وتتوقف عملية الاستمرار على معرفة المرسل بكيفية تشكيل رسالته معتمدا على معرفته اللغوية وربطها بالمقام وبأحوال المتلقي، هذا من جانب ومن جانب آخر يستمر الاتصال كذلك إذا كان المتلقي قادرا على فهم الرسالة والتفاعل معها.⁽¹⁾

فعلى المرسل أن يتبع استراتيجية لغوية محددة تضمن له الاستمرارية كأن يختار الألفاظ السهلة المتداولة، ويتجنب التغريب والتعقيد والتطويل والإيجاز المخل وغيرها من الاستراتيجيات التي توفرها اللغة.

د-الوظيفة الاستفهامية:

تسمى الوظيفة الاستكشافية، بمعنى السؤال عن الأشياء التي يراد معرفتها في البيئة المحيطة وقد تكون تبادلية بين طرفي الخطاب، فالمرسل يسأل وكذلك المرسل إليه أيضا قد يد يسأل وتؤدي اللغة دورا مهما في تشكيل هذه الوظيفة، فالسؤال له أدواته وألفاظه وطريقته، وقد يكون المراد منه التنبيه أو التوبيخ أو الإقرار وغيرها من الأغراض، كل ذلك يؤثر في تشكيل الخطاب.

هـ-الوظيفة الإعلامية:

يستطيع الفرد باللغة أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة، وإلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية خصوصا بعد الثورة التكنولوجية الهائلة، وظهور ما أطلق عليه اللغة الإعلامية، والإعلام الجديد، وغيرها من المفاهيم المرتبطة بنقل المعلومة بكل أنواعها.

و-الوظيفة الشخصية:

من خلال اللغة يعبر الفرد عن رؤيته الخاصة، ومشاعره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة وبالتالي يثبت هويته وكيانه الشخصي ويقدم أفكاره للآخرين، فاللغة المرآة التي تعكس شخصية الفرد وتفصح عن مستواه العقلي وعن مكانته الاجتماعية، وتبدو من خلالها صفات وخصائص كل فرد وتتكشف عن طريق استخدامها نقاط ضعفه وقوته. وتظهر الوظيفة الشخصية في أشكال كثيرة فقد تكون إبداعا شعريا أو نثريا أو غناء وغيرها من الأشكال التعبيرية الترويحوية.

(1) محمود السعمران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1963م، ص56.

إن لغة الخطاب التداولي اليومي بـمـيزاتها وخصائصها التي أشرنا إليها تمتلك الإمكانية والقدرة الكافية على تمثيل كل هذه الوظائف بسهولة ووضوح، وهذه الوظائف المذكورة تتفرع عنها وظائف أخرى كثيرة ولكنها لا تختلف عنها؛ لذا فإن الضابط الأول والأخير في تحديد الوظيفة هو الموقف الكلامي بكل عناصره.

الفصل الثالث: الأبعاد النفسية وتشكيل خطاب الحياة اليومية

1/ اللغة والسلوك

2/ الأبعاد المتعلقة بالعمليات العقلية

أ- بعد الاكتساب

ب- بعد التفكير

ج- التفكير واللغة

د- بعد الإدراك والفهم

هـ- الإدراك واللغة

و- بعد التذكر والاسترجاع

ز- التذكر واللغة

1- اللغة والسلوك:

تعد اللغة من أبرز مظاهر السلوك الإنساني، لذلك تخضع لجملة من العوامل النفسية التي تطرأ على السلوك، والإنسان كائن تحركه مجموعة من العوامل النفسية التي تنعكس على أنظمة اللغة ومستوياتها كلها، فاللغة مرآة تعكس مشاعر الإنسان وانفعالاته واتجاهاته النفسية الأخرى فإذا تأثر الإنسان من أي شيء نفسياً فإن صدى ذلك الشيء يتردد في لغته، فالتطور الثقافي والاجتماعي وما ينتاب الإنسان من مشاعر عاطفية واتجاهات نفسية كل هذه الظواهر مجتمعة تنعكس على اللغة، وتسهم بطريقة أو بأخرى في إحداث تغيير فيها، لذلك تعد اللغات أصدق سجل لحفظ عادات الأمم وتقاليدها واتجاهات تفكيرها، وهذا ما يجعل السلوك ليس بعدا واحدا وإنما هو مجموعة من الأبعاد النفسية المرتبطة باللغة؛ بل السلوك يشكل مستودعا محوريا لمعظم الأبعاد النفسية اللغوية.

واللغة كما يقول (سوسير) لها جانبان، الأول: جانب عضوي، يتمثل في حركات أعضاء النطق في أثناء عملية الكلام والثاني: نفسي، يتمثل في الانطباعات النفسية التي تصاحب عملية الكلام⁽¹⁾، و تظهر في ميل الإنسان إلى المبالغة والتأكيد في كلامه، والميل إلى تقريب بعض الألفاظ وإبعاد بعضها الآخر والتفاؤل من ذكر بعض التراكيب التي ترتبط بالخير، والتشاؤم من بعضها الآخر الذي يتعلق بالشر، كما تظهر في لغته ميوله إلى تحقيق ذاته ورغبته في كسب رضا الآخرين وبناء علاقات قوية ومثمرة، وغيرها مما يتعلق بنفسية الإنسان وحاجاته.

تشمل الأبعاد النفسية كل النشاطات السلوكية التي تقف وراء تجسيدها مثيرات داخلية، وكل ذلك يرتبط بالفعل اللغوي الحي، فهو وحده القادر على تجسيد مشاعر الفرد وبيان الآثار النفسية والمعالم الوجدانية، لذا فإن الأبعاد النفسية لا تصل إلى معرفتها وكشفها إلا عن طريق اللغة التي يعبر بها الفرد عن نفسه.

ولبيان هذه الأبعاد اللغوية النفسية لابد من الوقوف على مفهوم علم النفس وموضوعه، وكذلك صلة هذه الأبعاد بالسلوك الإنساني. فعلم النفس هو "العلم الذي يدرس الإنسان ككائن حي يرغب ويحس ويدرك وينفعل ويتذكر ويتعلم ويفكر ويعبر وهو في كل ذلك يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه ويؤثر فيه"⁽²⁾ أو هو "العلم الذي يدرس السلوك والخبرة الإنسانية"⁽³⁾ أو هو "العلم الذي يدرس السلوك الإنساني ويحاول تفسيره"⁽⁴⁾.

تؤكد التعريفات أن الإنسان لا يتعامل مع البيئة كما هي بل يتفاعل معها ويدركها ويؤثر فيها كما تشير إلى أن السلوك يقصد به النشاط الظاهر كالمشي والكلام والابتسام، والنشاط الباطن

(1) دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة د. بوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، الأعظمية، بغداد، 1984م، ص55.

(2) عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ط1، 1982م، ص27.

(3) موفق الحداني، علم اللغة النفسي من منظور معرفي، دار المسيرة للنشر، عمان، 2007م، ص37.

(4) محمود أحمد السيد، علم النفس اللغوي، منشورات جامعة دمشق، ط2، 1995م، ص21.

كالتفكير والانفعال والتخيل، ويصدر هذا السلوك بمعناه العام عند تعامل الإنسان مع بيئته ومحاولة التوافق معها. كما تبين التعريفات أن موضوع علم النفس دراسة سلوك الكائن الحي بشكل عام والسلوك الإنساني بشكل خاص، فيبحث في هذا السلوك بجميع أشكاله الظاهرة التي تتم ملاحظتها بالعين المجردة أو الكامنة والباطنة التي تدرس وتلاحظ بالأجهزة والمختبرات العلمية، وتعتمد هذه البحوث والدراسات النفسية على منهجٍ علميٍ في تقصي الحقائق وجمع المعلومات عن السلوك الإنساني.

يسعى علم النفس إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المرتبطة بالسلوك الإنساني، وهي:

تفسير السلوك وفهمه، والتنبؤ ویراد به تحديد الاستجابات السلوكية من خلال الإلمام بعوامل ظهور وطبيعة السلوك وكل ما يؤثر فيه، ويوفر ذلك إمكانية توقع زمن وألية حدوث السلوك وضبط السلوك وهو إدراك دوافع السلوك والإلمام بطبيعة المثيرات المحددة التي تؤدي إلى استجابات معينة؛ مما يتيح الفرصة لضبط السلوك والتحكم فيه من خلال إخضاع الفرد لمثيرات وعوامل وظروف معينة، ويؤدي ذلك إلى ظهور استجابات وردود فعل محددة. وقد عرّف علم النفس السلوك بأنه:

"حالة التفاعل الحاصل بين الكائن الحي وبيئته وعالمه الخارجي".⁽¹⁾

"مجموعة من الاستجابات التي تصدر عن الفرد تجاه المثيرات البيئية المختلفة؛ حيث تمثل البيئة جميع المؤثرات التي تدعم آلية ظهور السلوك".⁽²⁾

"جميع أشكال الاستجابة الكلية التي تظهر عند الكائن الحي تجاه أي موقف يواجهه".⁽³⁾

اتفقت المفاهيم على أن السلوك يظهر على هيئة استجابات نتيجة تعرض الفرد لمثيرات معينة، وهذه الاستجابات مكتسبة ومتعلمة؛ من خلال تعلم الفرد بالتدريب والملاحظة والتعرض للخبرات المختلفة، كما يرى علماء النفس أن السلوك بشكل شمولي هو نشاط مركب تتكون بنيته من ثلاثة جوانب أساسية، هي:

الجانب المعرفي: ويشمل مجموعة العمليات العقلية والمعرفية التي يستخدمها الإنسان لإدراك الأحداث التي تدور حوله، وألية تفاعله معها بالطريقة التي يتفرد فيها الشخص باستخدام المعاني والرموز، ومن أهم هذه العمليات الإدراك، والتذكر، والتصور، والتعبير الرمزي واللغوي واللفظي وغيرها.

الجانب الحركي: هو جميع الاستجابات الجسمية التي تظهر على الفرد؛ بسبب تعرضه لمثير معين، وتكون هذه الاستجابات على صور حركية لتعليمات لفظية، أو ممارسة الكتابة والرياضة، أو عزف الموسيقى، أو ركوب السيارة، وغيرها الكثير.

(1) جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياها، ص34.

(2) المرجع السابق، 37.

(3) أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار المعارف، القاهرة، ط12، 1979م، ص123.

الجانب الانفعالي: هو الحالة الانفعالية والعاطفية التي يمر بها الفرد أثناء استجاباته السلوكية للمثيرات المختلفة؛ أي أنها الحالة الداخلية التي ترافق سلوكاً معيناً، كالشعور بالحماس والسعادة تجاه نشاط معين، أو الشعور بالارتياح أو عدم الارتياح لمثير ما، أو أي نشاط آخر.⁽¹⁾ إذن السلوك يشمل كل ما يصدر من الإنسان من أفعال أو أقوال أو تفكير أو أي نشاط عقلي كذلك يشمل ما يحس به الإنسان من مشاعر وجدانية أو انفعالية كالألم والخوف والغضب والشعور بالضيق أو الارتياح والشعور بالأمل والخيبة، وكل هذه الأنشطة الإنسانية لها صلة وثيقة باللغة تؤثر فيها وتتأثر بها، لذلك يمكن النظر إلى السلوك بوصفه المحور الذي تدور حوله كل الأبعاد اللغوية النفسية والتي تشمل الأبعاد المتعلقة بالعمليات العقلية، الأبعاد الاجتماعية الأبعاد الانفعالية، والأبعاد الشخصية.

(1) جمعة سيد يوسف، سيكولوجية المرض العقلي، ص 76.

2- الأبعاد المتعلقة بالعمليات العقلية:

سبقت الإشارة إلى أن علم النفس هو العلم الذي يهتم بدراسة العمليات العقلية أثناء استعمال الإنسان للغة فهما وإنتاجا، وعليه فإن السلوك اللغوي ليس مجرد أصوات توجد في أعضاء النطق وتمنحها فرصة أن تلاحظ وأن تقاس، بل هي نتاج عمليات عقلية ونفسية تتم في الدماغ وفق نظام معين يحوّل الدلالات إلى أصوات على لسان المتكلم لتنتهي الأصوات إلى دلالات في ذهن السامع.⁽¹⁾ لذلك فاللغة إخبارا واعييا بالحياة النفسية، وينبغي دراستها على أساس هدف التواصل وليس على أساس البنية والشكل فقط.

إن العمليات العقلية المرتبطة بالجانبين اللغوي والنفسي، هي أبعاد وامتدادات نفسية لغوية تتأثر باللغة وتؤثر في تشكيل الخطاب اللغوي، وهي كثيرة أهمها ما يلي:

أ- بعد الاكتساب:

يقصد باكتساب اللغة العملية غير الشعورية وغير المقصودة التي يتم بها تعلم اللغة الأم ذلك أن الفرد يكتسب لغته الأم في مواقف طبيعية وهو غير واع بذلك، ودون أن يكون هناك تعليم مخطط له، وهذا ما يحدث للأطفال وهم يكتسبون لغتهم الأولى من غير أن يتلقوا دروسا منظمة في قواعد اللغة، وطرائق استعمالها، وإنما يعتمدون على أنفسهم في عملية التعلم مستعينين بتلك القدرة التي زودهم بها الله تعالى، والتي تمكنهم من اكتساب اللغة في فترة قصيرة وبمستوى رفيع.⁽²⁾

تحدث القدماء عن اكتساب اللغة (الأم أو الثانية) قال الجاحظ في (البيان والتبيين): "والميم والباء أول ما يتهيأ في أفواه الأطفال..." وقال في موضع آخر متحدثا عن اكتساب اللغة الثانية في وقت متأخر: "فأما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكنت في الألسنة خلاف هذا الحكم، ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيرا فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا ولو أقام في عليا تميم..."⁽³⁾ ربط الجاحظ بين الاكتساب وبين العمر. كما قال ابن فارس في (الصاحبي): "توجد اللغة اعتيادا كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات وتؤخذ تلقنا من ملقن..."⁽⁴⁾ وأكد (براون) ما ذهب إليه الجاحظ من أن الكبير لا يكتسب اللغة الثانية بسهولة قائلا: "إن الدارسين بعد سن البلوغ لا يصلون إلى النطق الطبيعي للغة الأجنبية في الغالب الأعم".⁽⁵⁾

(1) جودت جرين، علم اللغة النفسي تشومسكي وعلم النفس، ترجمة مصطفى التوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م ص 67.

(2) عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، جامعة الملك سعود، السعودية، 1982م، ص 74.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هرون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 6، 1998م، ج 1، ص 62.

(4) ابن فارس، الصاحبي، تحقيق أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997م، ص 17.

(5) براون دوجلاس، أسس تعليم اللغة وتعلمها، ترجمة عبدة الراجحي وعلي شعبان، دار النهضة العربية، بيروت، 1994م، ص 48.

يقول العصيلي: "من الواضح أن موضوع علم اللغة النفسي هو اللغة نفسها، أي دراسة اللغة والبحث فيها وصفا وتحليلا واكتسابا وتعلما وتعلما"⁽¹⁾. يعد اكتساب اللغة وتعلمها من أوسع وأهم مجالات علم النفس اللغوي، ومما لا شك فيه أن التكلم أمر مكتسب وليس للوراثة أثر يذكر في تعلم الأطفال لغة الآباء، ولو فطر الإنسان على التكلم لما تعددت اللغات الإنسانية⁽²⁾، كما ذكر علماء النفس وعلماء اللغة أن نمو اللغة عند الطفل يتوقف على عدة شروط أهمها اكتمال ونمو الأجهزة العضوية ونضج بعض الأنسجة العصبية والعضلية، وتدريب أعضاء النطق عند اكتمال نموها عن طريق التعلم.

ومن أبرز موضوعات علم النفس الأصيل دراسة مراحل النمو الإنساني بكل تفاصيلها ومن بينها النمو اللغوي في كل مرحلة، فذكروا أن النمو اللغوي عند الطفل يتدرج عبر مراحل كثيرة منها: مرحلة المهد تليها مرحلة الجلوس، ثم الحبو فالسير عن طريق المساعدة ثم السير بمفرده داخل المنزل وخارجه وأخيرا مرحلة الذهاب إلى المدرسة، وفي كل مرحلة يكتسب الطفل معارف لغوية وأساليب من السلوك اللغوي بطريقة طبيعية سواء كانت لغة أبائه وأجداده أو لم تكن كذلك⁽³⁾، وأيضا لأساليب التنشئة الاجتماعية التي يركز عليها علم النفس دائما، أثر كبير في اكتساب اللغة والسلوك اللغوي الجيد. ويتوقف التقليد اللغوي عند الطفل على وضوح الإحساسات السمعية، والقدرة على حفظ الأصوات المسموعة وفهم معاني الكلمات⁽⁴⁾.

وُجِدَت نظريات فسّرت عملية اكتساب اللغة وهي في جملتها نتاج لمجهود مشترك بين علماء اللغة وعلماء النفس، منها النظرية الفطرية والنظرية السلوكية وقد بيّن أولئك العلماء الأسس والشروط التي تقوم عليها كل نظرية، وتناولوا كذلك العوامل المؤثرة في اكتساب ونمو اللغة عند الطفل ويأتي في مقدمتها الفروق الجنسية والبيئة الحاضنة للطفل بمختلف تنوعاتها، والذكاء والنمو العقلي⁽⁵⁾.

يمكن القول إن كيفية اكتساب اللغة وتعلمها يمثل المحور الرئيس للدراسات اللغوية والنفسية والميدان المشترك بينهما إذ لا غنى لكل منهما عن نتائج ومخرجات الآخر، سنقف على بعض الآراء من خلال تلك النظريات بشيء من الإيجاز دون التعرض للجوانب التحليلية والنقدية بغرض بيان التأثير والتأثر بين اللغة والنفس البشرية.

اعتمد السلوكيون في تفسيرهم لاكتساب اللغة على المبدأ القائل بأن الطفل يولد وذهنه صفحة بيضاء خالية من المعلومات اللغوية، وأن البيئة التي ينشأ فيها هي التي تسطر في هذه الصفحة ما

(1) العصيلي، علم النفس اللغوي، ص34.

(2) أحمد عبد الرحمن حماد، العلاقة بين اللغة والفكر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 1985م، ص76.

(3) عبد القادر محمد مايو، علم نفس اللغة من منظور معرفي، دار القلم العربي، ط1، 1998م، ص22.

(4) علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، ص200.

(5) فاروق عثمان السيد، سيكولوجية الفروق الفردية والقدرات العقلية، دار القلم، بيروت، ط2، 1989م، ص10.

تشاء، سواء كانت بيئة طبيعية كالأُسرة والأقران، أم بيئة تعليمية تربوية كالمدرسة بما فيها من معلمين وبرامج ومناهج.⁽¹⁾ ويرون أن اللغة مثلها مثل أي سلوك آخر؛ لذلك فإن الطفل يكتسب اللغة بالسمع والنطق والتدريب والمران والتقليد، وقد يلجأ إلى القياس، ويؤمنون بأن تصويب من حوله لأخطائه اللغوية يعدل من سلوكه اللغوي ويقوده إلى اكتساب لغة سليمة صحيحة.⁽²⁾

فسرت عملية اكتساب اللغة نظرية أخرى أطلق عليها النظرية (المعرفية أو الفطرية) اعتمدت هذه النظرية على القدرة الفطرية العقلية المعرفية لدى الإنسان، حيث يرى أصحاب النظرية أن اللغة خاصة بالإنسان دون غيره من المخلوقات، وأن اكتسابها فطرة وقدرة عقلية مغروسة فيه منذ ولادته، وأن أي طفل يولد في بيئة بشرية معينة سوف يكتسب لغة هذه البيئة التي يعيش فيها بغض النظر عن مستواه العلمي أو الاجتماعي، ما لم يكن مصابا بمرض يمنعه من تلقي اللغة وفهمها أو استعمالها، -واللغة بهذا المفهوم- ليست سلوكا تكتسب بالتلقين والتعلم والمران والممارسة وحسب كما يعتقد السلوكيون وإنما هي فطرية عقلية معرفية.⁽³⁾

أبرز أصحاب النظرية الفطرية تشومسكي الذي يرى أن كل إنسان يمتلك قدرة فطرية تسمح له باكتساب وتعلم اللغات البشرية جميعها في كل زمان ومكان، وليست اللغة من وجهة نظرهم سلوكا يماثل السلوكيات الأخرى، بل هي ملكة واحدة من ملكات العقل، وسلوك معقد يخفي وراءه معرفة ضمنية بقواعد مركبة خاصة بالجنس البشري فقط، ويصعب تفسيره بالاقتران على فرضيات ومبادئ ومفاهيم النظرية السلوكية، المحاكاة والتقليد والتعزيز والتكرار.⁽⁴⁾ وعليه فإن تشومسكي يرفض القول بأن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء، بل يولد وهو معد فطريا لتعلم اللغة وفهمها وإنتاجها.⁽⁵⁾

تتم عملية اكتساب اللغة على حد رؤية النظرية السلوكية عن طريق التقليد والمحاكاة والممارسة والتدريب من البيئة التي يعيش فيها الطفل، وتذهب النظرية الفطرية إلى أن الطفل يولد وهو مزود بمعرفة فطرية تمكنه من اكتساب اللغة ولا يتم اكتسابها بالاعتماد على التقليد وحده، وعند النظر إلى الاتجاهين يمكن التوفيق والجمع بينهما على أساس أن اللغة فيها جانب خاص بالقدرة الفطرية الإنسانية وجانب متعلق بالبيئة الاجتماعية التي تحتضن الطفل. تعددت النظريات التي تناولت موضوع اكتساب اللغة، كالنظرية الاجتماعية والوظيفية والتفاعلية وغيرها.

(1) العصيلي، علم اللغة النفسي، ص248.

(2) غازدا جورج وكورسيني ريموند، ترجمة علي حسين حجاج وعطية محمود هنا، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1961م، ص77.

(3) العصيلي، علم اللغة النفسي، ص251.

(4) في علم النفس، محمد عطية الأبراشي، وحامد عبد القادر، دار العلوم القاهرة، ط2، 1944م، ص87.

(5) سيد أحمد الهامس، سيكولوجيا اللغة واضطرابات التواصل، النهضة المصرية، القاهرة، 2007م، ص104.

يتضح من خلال هذه النظريات أن اللغة سلوك مكتسب؛ وعليه فإن الطفل عندما يكتسب اللغة لا يكتسبها ألفاظا مجردة لها معاني محددة، وإنما يكتسبها مرتبطة بالآتي:
بظروفها المقامية وطرائق النطق وكيفيات الاستعمال ودلالاتها الهامشية، وعلاقتها بالعادات والتقاليد والأنماط الثقافية والقواعد والقوانين العرفية التي تحكم البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها الطفل، لذلك يكتسب اللغة وهي لا تنفصل عن العوامل غير اللغوية والتي تسود المجتمع وتؤثر في تشكيل خطابه اللغوي بكل ما يحمل من انفعالات ومشاعر وحاجات.
ب- بعد التفكير:

إن حاجة الإنسان إلى اللغة أمر لا مفر منه، فاللغة جزء أصيل من شخصية الإنسان ومقوم رئيس من مقومات وجوده واستمرار حياته وحضارته، وكذلك الفكر في الإنسان لا يقل أهمية عن اللغة، فبالفكر يدرك الإنسان وجوده ووجود كل ما يحيط به متخذا لنفسه سبيلا إلى التجريد ووضع التصور الدقيق عن علاقته بكل ما حوله، وبالتكامل بين اللغة والفكر تتحقق إنسانية الإنسان.

كما هو معلوم أن التفكير عملية عقلية ومظهر من مظاهر النشاط السلوكي لدى الفرد ويرتبط باللغة ارتباطا قويا فهي الوسيلة التي تنقل الأفكار للآخرين، وهي وسيلة الإنسان في التعبير أوجدها لينزل بها المجهول إلى مرتبة المعلوم، وينتصر بها على أسرار الكون ومشاكل الحياة اليومية، وباللغة يعبر الإنسان عن الصراع القوي في داخله، وبها يعبر عن النسيان ومضامين الفكر، ويجعل ما وراء الطبيعة موضوعا متناولا وفكرا متبادلا بين الأجيال. إذن حقيقة اللغة صورة صوتية ووظيفة اجتماعية وأداة للتعبير عن التفكير. وتبين علاقة اللغة بالفكر من أن الفكرة إذا تحددت في الذهن فإنه يقابلها لفظ يرتبط بها ويعبر عنها، كما أن اللفظ يثير في الذهن الفكرة التي ارتبطت به خلال المواقف الحياتية المختلفة للفرد.

وتم تعريف التفكير بأنه عملية من العمليات أو الوظائف العقلية أو المخية التي تشمل أيضا الذاكرة والانتباه والخيال واللغة.⁽¹⁾ أو هو ما يحدث في خبرة الكائن العضوي حين تواجهه مشكلة أو يتعرف عليها ويسعى إلى حلها.⁽²⁾ معنى ذلك أن التفكير هو كل النشاطات الذهنية التي يؤديها عقل الإنسان والتي تمكنه من التعامل مع العالم من حوله بفعالية أكبر لتحقيق أهدافه.

(1) وليد محمد مراد، تطوير الجهود اللغوية في علم اللغة العام، دار الرشيد، دمشق، ط1، 1986م، ص219.

(2) محمد عزيز الحبابي، تأملات في اللغة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1980م، ص59.

ج- التفكير واللغة:

لقد اهتم كثير من الفلاسفة والعلماء بقضية العلاقة بين اللغة والتفكير وتعددت آراؤهم وأقوالهم عن تلك العلاقة، فمنهم من يرى أن الفكر مستقل عن اللغة ومنفصل عنها، ويجعلون من الفكر سابق عن اللغة وأوسع منها وأكثر أهمية، لأن الإنسان يفكر بعقله قبل أن يعبر بلسانه فقد تتزاحم الأفكار والخواطر والمعاني في الذهن، لكن في كثير من الأحيان يعجز الإنسان في التعبير عنها. كما أن المفاهيم والمعاني تتطور أسرع من تطور الألفاظ لأن المعاني متغيرة وحيوية وواسعة، بينما الألفاظ ثابتة جامدة، معدودة محدودة، زيادة على أن الفكرة أغنى وأخصب من اللفظ لأنه يمكن التعبير عنها بألفاظ متعددة. وأبرز من يمثل هذا الاتجاه الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون حيث قال: "اللغة عاجزة عن مسaire ديمومة الفكر".⁽¹⁾

ومنهم من يرى أن اللغة والفكر متصلان ومترابطان فلا فكر دون لغة، ولا توجد لغة دون فكر وأنه من الاستحالة الفصل بينهما، لأن اللغة ليست هي ثوب الفكر ووعاءه الخارجي كما يدعي البعض بل هي جسده وصميم وجوده، فهي التي تبرز الفكر وتخرجه من حيز الكتمان والذاتية إلى حيز التصريح وتضفي عليه الصبغة الاجتماعية والموضوعية. وهذا ما يذهب إليه أرسطو حين يقول: "ليست ثمة تفكير بدون رموز لغوية".⁽²⁾

نخلص إلى أن اللغة هي الأداة التي يتم بها التفكير، واللغة لا يمكن أن تكون بمعزل عن الفكر، ومن ثم فإن العلاقة بينهما علاقة تكاملية، ويمكن اعتبارهما بمثابة وجهين لعملية عقلية لغوية نفسية واحدة. وفي ذلك يقول دي سوسير: "إن الفكر هو وجه الصفحة، بينما الصوت هو ظهر الصفحة ولا يمكن قطع الوجه دون أن يتم في الوقت نفسه قطع الظهر، وبالتالي لا يمكن في مضممار اللغة فصل الصوت عن الفكر، أو فصل الفكر عن الصوت".⁽³⁾

اتضح جليا أن التفكير يمثل بعدا نفسيا ولغويا مرتبطا بكل العمليات العقلية لدى الإنسان، وأنه

يؤثر تأثيرا مباشرا في الخطاب اللغوي، وقد قال بذلك علماء النفس وعلماء اللغة على اختلاف توجهاتهم ومدارسهم.

د- بعد الإدراك والفهم:

يعد الإدراك والفهم من العمليات الفسيولوجية التي تحدث في الدماغ وتتعامل مع المحيط حيث تسهم في عملية التعلم؛ إذ لا يمكن القيام بأي نشاط حركي أو معرفي إلا عن طريق العمليات العقلية".⁽⁴⁾ ومن أهم الموضوعات التي تناولها علم اللغة النفسي العلاقة بين المنطوق

(1) عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1986م، ص46.

(2) نوري جعفر، اللغة والفكر، مكتبة التومي، الرباط، المغرب، ط1، 1971م، ص98.

(3) دي سوسير، علم اللغة العام، ص65.

(4) سيجموند فرويد، الإدراك، ترجمة مصطفى غالب، مكتبة دار الهلال، 2002م، ص91.

والمفهوم أو بمعنى آخر كيفية فهم وإدراك المنتج اللغوي. وكثيراً ما يستخدم الباحثون مصطلحي الإدراك والفهم وكأنهما مترادفين، وعليه لا بد من الوقوف على المفهومين:

قال ابن فارس: "الدال والراء والكاف أصل واحد هو لحوق الشيء ووصوله إليه".⁽¹⁾ وقد أجمع على ذلك أصحاب المعاجم فعندهم أدرك تعني لحق. أما الفهم فمعناه في اللغة: قال ابن فارس: فهم الشيء علمه.⁽²⁾ وقال ابن منظور: "الفهم معرفتك الشيء بالقلب، وفهمه فهما... علمه وفهمت الشيء عرفته وعقلته".⁽³⁾ نستنتج من التعريف اللغوي لعمليتي الفهم والإدراك أنهما عمليتان عقليتان متعلقتان بتحصيل المعرفة بالشيء، ولا توجد فروق واضحة بين المفهومين عند أصحاب المعاجم.

وفي الاصطلاح عُرف الإدراك: بأنه العملية العقلية التي يتم من خلالها تفسير وتأويل المثيرات وصياغتها على نحو يمكن فهمها ومن ثم الخروج بتصوير أو حكم أو قرار.⁽⁴⁾ أو هو عملية عقلية تتعلق باكتساب النظام الرمزي، وفهم الرسالة وما يصاحبه من تفكير وتخيل واستدلال.⁽⁵⁾ أو هو استجابة معينة للإحساسات الراهنة تستعمل فيها الخبرات السابقة وتتأثر باتجاهات الفرد وأسلوبه في الحياة.⁽⁶⁾

وقد اتفق علماء النفس على إطلاق مصطلح الإدراك على العمليات العقلية المتضمنة في اكتساب المعرفة والفهم، إذ تعد عملية الإدراك إحدى وظائف الدماغ عالية المستوى بحيث تشمل عمليات التفكير والمعرفة والتذكر والحكم وحل المشكلات. كما يرى علماء النفس أن عملية الإدراك تشتمل على كل من اللغة والخيال والتخطيط وكل العمليات العقلية اللغوية التي يمكن من خلالها جمع العلوم والمعرفة.⁽⁷⁾

توجد علاقة قوية بين الفهم والإدراك، يقول الكفوي: "والفهم يعني تصور الشيء من لفظ المخاطب، والإفهام إيصال المعنى باللفظ إلى فهم السامع، والفهم يتحقق به إدراك معاني ما يقال، فكل من المفهوم والمعنى هو الصورة الذهنية الإدراكية الحاصلة في الذهن أو العقل، فمن حيث إنها تقصد اللفظ سميت معنى، ومن حيث إنها تحصل في العقل سميت مفهوم"⁽⁸⁾. يوضح هذا القول إن الفهم هو عملية ذهنية تتعلق باللفظ المنطوق، وهو يسبق الإدراك أو الإدراك يتوقف على الفهم.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج/1، ص245.

(2) المرجع السابق، ج/4، ص465.

(3) ابن منظور، اللسان، ج/7، ص612.

(4) أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، ص45.

(5) مراد مرداسي، علم اللغة النفسي، دار الشروق، بيروت، ط1، 1986م، ص9.

(6) صابر الجباشة، الأنساق الرمزية في اللغة والإدراك، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط2، 1883، ص65.

(7) العصيلي، علم اللغة النفسي، ص46.

(8) أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق عدنان دروس ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1988م، ص697.

يجتمع الفهم والإدراك في عدة نقاط: عمليتان عقليتان، تهدفان إلى الكشف عن الحقيقة وإعطاء الدلالة لموضوع ما، وهما استجابة لمثير ما، يرتبطان بخبرة الفرد وقدراته، وهما شرط في عملية التعلم، ويفترقان في نقاط أخرى: فالفهم يعتمد على العوامل الموضوعية كالقوانين والتجارب والاستقصاء والبحث الدقيق، بينما يعتمد الإدراك على العوامل الذاتية للفرد وعلى الإحساس والملاحظة، يكون الفهم نتيجة تفسير العلاقات الكامنة بين الموضوعات، والإدراك هو نتيجة التفاعل بين قوة المثير والحالة النفسية للفرد، وبما أن الفهم يعتمد على العوامل الموضوعية والاستقصاء والبحث فهو أعلى درجة من الإدراك.⁽¹⁾

خلاصة الأمر أن الفهم والإدراك عمليتان مكملتان لبعضهما وتتضمنان عددا من العمليات المعقدة مثل: تحويل المدخلات الحسية إلى إشارات عصبية يمكن للدماغ فهمها واتخاذ الإجراء المناسب، ثم تلمها عملية الحد من المدخلات الحسية المعنية بتوجيه التفكير بالتركيز على التفاصيل المهمة والانصراف عن التفاصيل غير المهمة، ثم تلمها عملية توضيح المعلومات وشرحها وتخزينها وتذكرها، ثم تخزين واستعادة المعلومات، وأخيرا استخدام المعلومات.⁽²⁾ وعليه فإن فهم الخطاب وإدراكه يعني المعرفة الدقيقة بآليات تحليله، من خلال النظام اللغوي الذي يتحكم في إنتاج الرسالة، وبالتالي تكون نتيجة الفهم القيام بعمل تستوجه الرسالة، ومن ثم فإن الفهم والإدراك يؤثران تأثيرا مباشرا في تشكيل وإنتاج وتفسير الخطاب اللغوي.

ه- الإدراك واللغة:

تحدث علماء النفس اللغوي وعلماء النفس المعرفي عن دور الإدراك في عملية التواصل وكذلك دوره في عملية التعليم والتعلم، وفصلوا القول كذلك في أنواع الإدراك والعوامل المؤثرة فيه وغيره مما يدخل تحت مفهوم الإدراك، سنقتصر الحديث عن علاقة الإدراك باللغة في نقاط يسيرة تبين دور الإدراك في عملية تشكيل الخطاب اللغوي.

يتوقف وجود الإدراك نفسه ووظيفته على وجود نسق محدد من العلامات، أي وجود نظام من القواعد المتبعة في عملية التواصل، هذا النظام تمثله اللغة بقواعدها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية وسنمها الأسلوبية المتعارف عليها، الدلالية والنحوية التي بدونها لا يمكن أن ننتج لغة نتواصل بها.⁽³⁾

فأنظمة العلامات المسماة لغة هي الحوامل الأساسية للفكر الذي وظيفته الإدراك وبهذا المعنى يكون وجود اللغة هو الشرط الضروري لتحقيق العلوم المختلفة كعلم النفس المعرفي الذي يفسر عملية الإدراك.

(1) محمود كاظم التميمي، علم النفس المعرفي، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 2014م، ص43.

(2) المرجع السابق، 51.

(3) محمد محمود بني يونس، سيكولوجية الإحساس والإدراك، مطبوعات دار الثقافة، الرياض، 1998م، ص81.

ولكي يتم الإدراك على الطرفين أن يمتلكا (دليل الشفرات) نفسه، أي فهم مشترك ومتبادل معنى الكلمات والرموز، وبالتالي فالمرسل يشكل خطابه بناء على معرفة المتلقي بالرموز اللغوية المستخدمة وينتقي من الألفاظ ما يناسب حال المتلقي وكفايته اللغوية وما يناسب المقام كذلك وعليه فإن الإدراك يفسر الطريقة التي يتم من خلالها انتقاء الألفاظ وتنظيمها من أجل تقديم الخطاب المناسب.

و- بعد التذكر والاسترجاع:

التذكر عملية عقلية وقدرة معرفية حيوية واضحة في حياة الفرد؛ وذلك لأن كل خبرة مهما كان شأنها لا بد أن تترك آثارها في العقل، ويستدعيها العقل متى ما شاء، وهو أحد أدوات التفكير ويعني استرجاع الفرد ما سبق أن أدخله من خلال الحواس وتطبيقه في المواقف المشابهة، فهو نوع من التخزين الفكري للمواقف الماضية، وكذلك التذكر يعني القدرة على استرجاع الخبرات السابقة.⁽¹⁾

ويعتمد التذكر على جودة التعلم، فالشيء الذي تعلمناه جيدا نتذكره جيدا لمدة أطول، ومن هنا تأتي أهمية التمرين والمراجعة اللذين يعززان التعلم، ويؤثر في التذكر كذلك الفترة الزمنية بين التعلم وتذكر ما تعلمناه، فكلما طال الوقت بين تعلم شيء ما ومحاولة تذكره بعد ذلك زادت احتمالات نسيانه فالتلميذ ينسى تدريجيا الدرس الذي لا يعيد قراءته من وقت لآخر، كما يختلف التذكر باختلاف درجات فهمنا للمادة التي تعلمناها، ويميل الفرد الى تذكر الأشياء التي لها خبرات سارة أكثر من التي لها خبرات سيئة.⁽²⁾

وهناك عدة وسائل نسترجع بها خبراتنا السابقة ومن أهمها الاستدعاء والتعرف، والاستدعاء عملية استرجاع الاستجابات الماضية دون وجود المثير الأصلي الذي استدعاها في الأصل مثال ذلك استرجاع قصيدة من الشعر تعلمناها في الماضي أو استرجاع بعض المعلومات التي درسناها في مادة من المواد. ويتم الاستدعاء على هيئة صور ذهنية تنقل المعنى الذي وجد في المثير الأصلي أثناء عملية الإدراك، وهذه الصور الذهنية تحدث غالبا في صورة ألفاظ وعبارات.⁽³⁾

وقد قسم علماء النفس التذكر إلى أنواع فهناك تذكر قصير المدى، وتذكر طويل المدى، كما ذكروا العوامل المؤثرة في عملية التذكر والاسترجاع، منها: الفروق الفردية بين الأفراد، والعوامل المتعلقة بالخبرات المراد تعلمها، والطريقة المتعلقة بتعلم الخبرات، كما تحدثوا عن الأساليب والطرق التي تعين على تحسين عملية التذكر.

(1) محمود كاظم التميمي، علم النفس المعرفي، ص 67.

(2) علي عبد الرحيم صالح وآخرون، ومضات في علم النفس المعرفي، دار رضوان، عمان، ط1، 2013م، ص 76.

(3) أندرسون جون، علم النفس المعرفي وتطبيقاته، ترجمة محمد صبري ورضا مسعد، دار الفكر، عمان، ط1، 2007م، ص 72.

ز-التذكر واللغة:

يرتبط التذكر واللغة في علم النفس اللغوي والمعرفي ارتباطاً وثيقاً حيث يشير الأول إلى القدرة على التخزين والاسترجاع في حين أن الثاني نظام اتصال يستخدم الكلمات والرموز لنقل المعنى ويعد كل من اللغة والتذكر ضرورة للإدراك والتواصل البشري، فالنسيان كما هو معلوم من معوقات التواصل، كما يؤدي التذكر دوراً كبيراً في فهم اللغة وإنتاجها حيث تتيح للأفراد الوصول إلى المعلومات التي تم تعلمها مسبقاً لفهم وإنشاء عبارات ذات معنى جديد.⁽¹⁾

إن تعلم أي مادة لغوية تمر بالتذكر من خلال ما يسمى بالأثر الذاكري، والذي يقصد به الأثر الذي تتركه المعلومة في الذاكرة، وشكل (التمثل) الذي يتخذه فيها سواء على شكل صورة أو ذكرى أو كلمة أو تجسيد، فإن قلت (وردة) مثلاً فالتمثل الذي تتخذه الكلمة في العقل ليذكر المعنى قد يكون شكلاً للوردة أو ذكرى ترتبط بها مثلاً. ويمر هذا التمثل بثلاثة مراحل: الترميز والتخزين والاستعادة.⁽²⁾

إن مرحلة الاستعادة تعني اللجوء إلى المعارف والمعلومات سابقة التخزين وهي التي تمكننا من البحث عن المعلومة في الذاكرة من وقت لآخر وتضمن عدم نسيانها، وأن الطريقة المعتمدة غالباً ما تكون عملية الربط حيث يتم ربط معلومة أو كلمة بأخرى سبق تعلمها بشكل يضمن تذكرها بسهولة، وقد يكون الربط بين الكلمة الجديدة والقديمة بسبب التشابه في المعنى أو الشكل أو لارتباطهما بموقف مشابه أو غيره، وفي المقابل تستخدم اللغة لتفسير المعلومات وتخزينها في الذاكرة، كما تؤثر اللغة في التذكر من خلال الطريقة التي تم بها التخزين والاسترجاع.⁽³⁾ إن العلاقة بين اللغة والتذكر معقدة ومتعددة الأوجه حيث يؤثر كلا المفهومين في الإدراك والتواصل كما يؤثر كل منهما في الآخر فهما وإنتاجاً للخطاب اللغوي.

ننتهي إلى أن العمليات النفسية لها أثرها الكبير في اللغة؛ فالتذكر والتخيل والانتباه والاسترجاع والتفكير والإدراك والفهم كلها عمليات تؤثر في كيفية تعلم الطفل اللغة كلاً ما ثم كتابة وكيفية صياغة الإنسان جملة ليعبر عن أفكاره، فالعلاقة بين اللغة وهذه العمليات علاقة تبادلية لأن كل منهما يعتمد على الآخر ويتأثر به.

(1) عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي، دار هومة، الجزائر، ط1، 1987م، ص 93.

(2) المرجع السابق، ص 97.

(3) فالج العجبي، مراحل الإدراك والقدرات التحليلية من التفكير إلى التطبيق، دار ملامح للنشر، 2022م، ص 67.

3- الأبعاد الانفعالية:

يتميز الإنسان عن غيره من المخلوقات بعدة خصائص من بينها الانفعالات التي تجعل الحياة الإنسانية أكثر حيوية وحرارة، ولك أن تتخيل حياة إنسانية وعلاقات اجتماعية وروابط أسرية خالية من الحب والكره والضحك والبكاء، والغضب والدهشة، والسعادة والحزن... إنها حياة أقرب ما تكون للميكانيكية، فالانفعالات والمشاعر المرتبطة بها هي ملح الحياة اليومية وبوساطة تلك الانفعالات تكتسب حياة الإنسان معناها ودلالاتها.

وتوصف الانفعالات بأنها طاقة الفكر وموجهة النشاط المعرفي والنافذة المطلقة على العقل، وهي الوسط الذي تجري فيه ومن خلاله التبادلات الاجتماعية، وتتشكل بواسطته أوامر العلاقات بالآخرين، وهي التي تمنح خبراتنا ظلالها وألوانها.

أ- تعريف الانفعالات:

الانفعالات هي حالات داخلية تتصف بجوانب معرفية خاصة وإحساسات وردود أفعال فسيولوجية، وسلوك تعبيرية معين، وهي تنزع للظهور فجأة ويصعب التحكم فيها.⁽¹⁾ ويعرف الانفعال أيضا: حالة نفسية تنشأ نتيجة مثير مفاجئ وتضطرب خلالها شخصية الإنسان بكاملها ثم لا تلبث أن تضعف وتزول بسرعة، وتبدو حالة الاضطراب هذه في بنية الشخص المعرفية وخبراته الشعورية وردود أفعاله الفسيولوجية وتعبيراته الخارجية وتصرفاته المختلفة، وتشكل هذه الاستجابات المتنوعة استجابات متكاملة تعبر عن نوع الحالة الانفعالية التي حدثت للشخص.⁽²⁾

والانفعال في تعريف ثالث هو: خبرة أو حالة ذات صبغة وجدانية، نفسية الأصل، وتتكشف في السلوك والوظائف الفسيولوجية.⁽³⁾ ويعرفها تشايلد بأنها: الاستجابة الفسيولوجية والنفسية المؤثرة على الإدراك والتعلم والأداء.⁽⁴⁾

من خلال التعريفات المذكورة يمكن استخلاص خصائص الانفعالات وهي: إنها استجابة مركبة عند الإنسان، وخبرة ذاتية تصبحها تغيرات نفسية وفسيولوجية، وتسبب عدم السيطرة على التوازن، قد تكون للانفعالات آثار سلبية وإيجابية، بعض الانفعالات سطحية وبعضها الآخر عميق، والانفعال كذلك عنصر مهم في الشخصية وفي العلاقات والتفاعلات القائمة بين الأفراد.⁽⁵⁾

(1) رنية ديكارت، انفعالات النفس، ترجمة جورج زياتي، دار الرافدين، بغداد، 2002م، ص34.

(2) المرجع السابق، ص39.

(3) فولفانغ زوخاروفسكي، اللغة والإدراك منظورات حديثة في علم اللغة، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، دت ص73.

(4) فالج العجبي، مراحل الإدراك والقدرات التحليلية من التفكير إلى التطبيق، ص71.

(5) رنية ديكارت، انفعالات النفس، ص39.

تختلف الانفعالات عن بعضها فمنها الانفعال السار (الإيجابي) الذي يكون له تأثير إيجابي على صحة الفرد كالفرح، ومنها الانفعال غير السار (السلبي) ويكون له تأثير سلبي على الصحة كالغضب، ومنها الانفعال القوي كالقلق والتوتر والحزن ومنها الضعيف مثل: الضحك أحيانا.

ب- الانفعالات واللغة:

إن الجانب الانفعالي يعد وظيفة أساسية من وظائف اللغة ذلك أن اللغة تستخدم لإثارة الوجدان والفكر؛ لأنها تحرك في النفس استجابات انفعالية وعقلية بحسب الحالة التي يكون عليها الفرد أثناء توظيف قدراته اللغوية، ومدى خدمة تلك الحالة الوجدانية واللغة المصاحبة لها للهدف الأصلي الذي تم على أساسه استخدامها.⁽¹⁾

وقد أقر علماء اللغة وعلماء النفس بوجود الصلة القوية بين اللغة والانفعال، منهم (فندريس) الذي انتهج في كتاباته اللغوية نهج التفسير النفسي للظواهر اللغوية، وكان يلاحظ التقارب الحاد بين العمليات الكلامية وبين الحالات الانفعالية، وانتهى إلى أن كل حدث كلامي يحمل أثرا انفعاليا، فالحدث الكلامي عنده تعبير خاص ينتج انفعالا معينا.⁽²⁾ قول (فندريس) يؤكد بقوة عدم إمكانية؛ بل استحالة فصل اللغة عن الانفعالات الإنسانية.

كما أشار إلى ذلك النقاد والأدباء حيث تحدثوا عن علاقة الانفعال بالإبداع الفني، من ذلك ما ذكره عز الدين اسماعيل قائلا: "أوصى أبو تمام البحثري قائلا: واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه، فإن الشهوة نعم المعين... فالرغبة يتولد عنها حسن النظم". وقال عز الدين اسماعيل: "إن النفس تصنع الأدب، فالنفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس... إنهما دائرة لا يفترق طرفاها إلا ليلتقيا...".⁽³⁾ مما يعني أن نفسية المبدع تمثل طرف أساس في تحقيق الإبداع.

وبناء على متانة الرابطة بين الانفعال واللغة ظهر عند علماء اللغة النفسي ما أطلقوا عليه (اللغة الانفعالية) وهي مجال من مجالات علم اللغة النفسي وعرفوها بأنها: "صياغة الكلمات بطريقة تحاول التأثير في القارئ أو المستمع بمخاطبة مشاعره بدلا من عقله بكلمات وعبارات عاطفية قوية محملة بدلالات تحاول أن تولد لديه رد فعل قوي إيجابي أو سلبي يزيد على المعنى الحقيقي الحرفي للعبارات".⁽⁴⁾ ووصف تشارلز ستيفنسون العبارات الانفعالية (الكلمات العاطفية) بأنها تملك تأثير (مغناطيسي) وقوة حقيقية وميل للتأثير على قرارات الطرف الآخر.⁽⁵⁾

(1) رنية ديكارت، انفعالات النفس، ص34.

(2) إفينيش ميلكا، اتجاهات اللسان، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص132.

(3) عز الدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4، ص5.

(4) أندرية مارتيني، مبادئ ألسنية عامة، ترجمة ريمون رزق الله، دار الحدائق، بيروت، ط1، 1990م، ص197.

(5) الغالي أحرشواو، الطفل واللغة تأطير نظري ومنهجي، المركز الثقافي العربي بيروت، ط1، 1993م، ص47.

تؤدي لغة الخطاب التداولي اليومي دورها الانفعالي منذ اكتسابها فالأطفال في مراحلهم الأولى يتحدثون إلى أنفسهم وألعابهم فيعطونها الحياة، ثم يكتشفون أول فائدة عملية للغة أنها وسيلة تساعده للتفاعل مع الآخرين، والمشكلات النفسية التي ترافق الأطفال والمراهقين عادة تعضدها عوامل مرتبطة بالافتقار للغوي، مما يسبب لهم الانعزال والانسحاب الاجتماعي.⁽¹⁾

إن العلاقة قوية بين سلوك الكلام وبين سلوك الاستماع أو الإنصات، فالمتكلم يحول أفكاره ومشاعره من صورتها المعرفية الانفعالية إلى رموز لغوية، والمستمع يتلقاها بصورتها الرمزية ويعيد برمجتها إلى أفكار ومقاصد يفهمها كل منهم ويتفاعل معها، وفق قيمه ومعتقداته وتجاربه الذاتية، ويستطيع المتلقي أن يحكم من خلال ما قرأ أو ما سمع على الحالة الانفعالية لمنتج الخطاب بأنه كان فرحاً، سعيداً، هادئاً، متزناً، غضباناً، حزيناً، مضطرباً، وإن لم يره، مما يؤكد استقرار البعد الانفعالي في اللغة.⁽²⁾

وكذلك قدرة المتحدث اللغوية تمكنه من تحويل انفعالاته إلى تعبير يعكس حالته النفسية ويستطيع بقدرته أن يوقظ مشاعر السامع لدرجة التعاطف معه، ولا أدل على ذلك من تمتع الأشخاص الأكثر قدرة لغوية بقوة الشخصية وكثرة المؤيدين، وهذا يؤكد وجود الصلة القوية بين القدرة المعرفية العالية في صناعة الحالات الوجدانية في شكل لغة منطوقة وبين الشعور بالهدوء والاستقرار والتوافق الاجتماعي.

يكثر استعمال اللغة الانفعالية في الخطابات السياسية لتوجيه الجماهير نحو معنى معين يقصده السياسي لتأييد توجهه الفكري، لذلك فإن معظم السياسيين يستخدمون كُتَّاب متخصصين يعرفون ما هي الكلمات التي يجب استخدامها والتي لا يجب استخدامها عند مخاطبة جمهور معين. وماهي الكلمات التي تستخدم عند وسم الخصوم بخصال أو صفات معينة، كما يستخدم هذا الأسلوب في القنوات الإخبارية وفي أوقات النزاعات وغيرها من المواقف.

نخلص إلى أن للغة أهمية نفسية كبيرة تؤديها بشرط أن تكون مفهومة، وأن التأثير والتأثر متبادل بين الانفعال واللغة، فكل انفعال له لغته ومفرداته الخاصة بل حتى طريقتة في النطق نبرا وتنغيماً، وهذا ما جعل الكثير من الأدباء والكُتَّاب الفصحاء يكتبون أحياناً بالعامية وما ذاك إلا لأنهم يريدون أن ينقلوا انفعالاتهم ليشاركهم فيها المستمع. والأبعاد الانفعالية كثيرة ومتنوعة، ومن أهم الأبعاد المرتبطة بالانفعال ولها تأثير كبير في اللغة بعد التعزيز.

ج- بعد التعزيز:

يعد التعزيز شكلاً من أشكال الاستجابات السلوكية التي ترمي إلى تعديل السلوك لدى الأفراد وغالباً ما يرتبط التعزيز بالمواقف التعليمية، فهو عملية تهدف إلى تدعيم السلوك المناسب أو

(1) جمعة سيد، سيكولوجية المرض العقلي، ص 87.

(2) وعد عباس، البعد النفسي في الشعر الفصيح والعامي، مؤسسة هندواي، المملكة المتحدة، 2018م، ص 65.

زيادة احتمال حدوثه في المستقبل عن طريق تحريك الفرد نحو السلوك المرغوب فيه من قبل الآخرين.

د- تعريف التعزيز:

التعزيز هو عملية تقديم مثير مرغوب فيه، أو إزالة مثير غير مرغوب فيه، بعد القيام بالسلوك مباشرة مما يزيد احتمال تكرار السلوك المرغوب أو إزالة السلوك غير المرغوب.⁽¹⁾ ويعرف أيضا على أنه السلوك أو الاستجابة التي يلحقها حدث ما يؤدي بها إلى التكرار أو الزيادة، فالتعزيز إذن عملية ينتج عنها تقوية أو زيادة للاستجابة التي جاء بعدها المعزز.⁽²⁾ والتعزيز هو التدعيم الذي يرتبط بالاستجابة ويعمل على إعادة ظهورها مرة أخرى، في حين منع التدعيم عند الاستجابة يقلل من احتمال ظهورها، ولا بد أن يكون التعزيز قويا ويحدث لحظة الاستجابة.⁽³⁾

وعليه فالتعزيز سلوك لفظي أو غير لفظي، يأتي عقب الموقف ويعبر عن مدى الموافقة أو الرفض للسلوك تجاه الموقف المعني، ويتضمن الثواب والعقاب والجوانب المادية والمعنوية، فهو مكافأة بعد نجاح أو هو عقاب بعد خطأ.

يعمل التعزيز على إثارة دافعية الفرد نحو التعلم، ودفعه إلى بذل مجهود أكبر لتحقيق أهدافه ويعمل على زيادة المشاركة في الأنشطة المختلفة، كما يساعد على تقدير الذات وزيادة الشعور بالنجاح ويؤثر على الجماعة كما يؤثر على الفرد، ولا تقتصر وظيفة التعزيز على زيادة احتمال تكرار السلوك في المستقبل فهو ذو أثر إيجابي من الناحية الانفعالية أيضا حيث يؤدي إلى تحسين مفهوم الذات وتقديرها.⁽⁴⁾

ويكون التعزيز إيجابيا بما يولده في الفرد من حالات انفعالية سارة، فهو عادة ما يجعل الإنسان يشعر بالرضا والسرور ويؤدي إلى تقوية دافع التعلم. وقد يكون سلبيا يؤدي إلى ترك آثار سلبية وانفعالات غير سارة في النفس.

هـ- التعزيز واللغة:

إن علاقة الانفعالات باللغة ومدى تأثيرها في تشكيل الخطاب أمر ثابت وواقع كما مر بنا وللانفعالات كذلك علاقة قوية بالتعزيز، وذلك لأن التعزيز يولد في نفس الفرد حالات انفعالية مختلفة كالشعور بالفرح والسعادة، والنشاط الزائد لأداء المهام، وتقدير الذات وغيرها من الانفعالات السارة وقد يولد في النفس الشعور بالغضب والقلق والاضطراب والإحباط وغيرها من الانفعالات غير السارة، وكلها تؤثر في لغة الخطاب.

(1) صالح حسن الداهري، علم النفس الإرشادي، دار وائل، عمان، ط1، 2005م، ص45.

(2) المرجع السابق، ص47.

(3) جون إي جزييف، وآخرون، أعلام الفكر اللغوي، ص175.

(4) أبو حماد ناصر الدين، تعديل السلوك الإنساني وأساليب حل المشكلات، جدار للكتاب العالمي، ط1، 2008م، ص29.

كما توجد معززات لفظية كثيرة منها: ممتاز، جيد، حسن، ذكي، وكذلك من المعززات الدعاء كقولهم: فتح الله عليك، لا فض الله فاك، حفظك الله، وأسلوب التعجب القياسي أو السماعي كقولك: ما أروعك، يا للجمال، أو سبحان الله، وكذلك في اللغة عبارات كثيرة ومختلفة تعد من المعززات كقولك: للأسف، لسوء الحظ، تأخرت كثيرا، وتقديم النصح أيضا يعزز السلوك كقولهم: ميمان لا يتعلمان، وليس أخو الحاجات من بات نائما، ولكل مجتهد نصيب. وغيرها من الأساليب والطرائق اللغوية.

4- الأبعاد الاجتماعية:

إن اللغة لا تنشأ ولا تستخدم ولا تتطور إلا في مجتمع.⁽¹⁾ ونتيجة لهذا الارتباط بين اللغة والمجتمع برز علم اللغة الاجتماعي الذي عرّفه العلماء بأنه: "اكتشاف الأسس أو المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي، مستهدفين إعادة التفكير في المقولات والفروق التي تحكم قواعد العمل اللغوي، ومن ثم توضيح موقع اللغة في الحياة الإنسانية".⁽²⁾ يُعنى علم اللغة الاجتماعي بدراسة التأثير والتأثر الواقع بين اللغة والمجتمع بأبعاده المختلفة.

عرّف علماء الاجتماع البعد الاجتماعي بأنه: "المسافة بين مختلف الفئات في المجتمع مثل: الطبقة الاجتماعية والعرق والجنس أو الجنسية، أو الحميمية والقرب التي يشعر بها الفرد أو المجموعة تجاه فرد أو مجموعة أخرى في شبكة اجتماعية أو مستوى الثقافة التي تتمتع بها مجموعة لأخرى ومدى التشابه المدرك للمعتقدات".⁽³⁾

يشمل البعد الاجتماعي العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات، ولا شك أن اللغة هي التي تتولى التعبير عن تلك العلاقات، وتدفع الفرد إلى تحقيق غاياته الاجتماعية المبنية أساساً على الفعل التواصلي اللغوي، وعليه فالبعد اللغوي الاجتماعي يراد به السياق الاجتماعي الذي تدور فيه اللغة، ويجري فيه التواصل بها بين الأفراد.⁽⁴⁾ معنى ذلك أن البنيات اللغوية لها دلالات اجتماعية حيث تعكس اللغة أعراف وتقاليد وثقافة ومعجم وهوية المجتمع، فكل هذه المكونات الاجتماعية تظهر في اللغة بشكل أو بآخر وتمثل بعداً اجتماعياً معيناً.

ويرتبط علم الاجتماع بعلم النفس ارتباطاً قوياً، لذلك برز إلى حيز العلوم (علم النفس الاجتماعي) الذي يُعنى بدراسة سلوك الفرد مع الجماعة. وعرّف علم النفس الاجتماعي بأنه: "فرع من فروع علم النفس يركز على دراسة سلوك الفرد في الجماعة". أو هو "عبارة عن محاولة لفهم وتفسير تأثير أفكار الآخرين ومشاعرهم وسلوكهم بوجود الآخرين الفعلي أو المتخيل". وكما عُرّف علم النفس الاجتماعي: "هو دراسة الأفراد في صلاتهم البيئية المتبادلة دراسة تهتم بما تحدثه هذه الصلات البيئية من آثار على أفكار الفرد ومشاعره وعاداته وانفعالاته".⁽⁵⁾

عند مناقشة التعريفات المذكورة نجد أن علم النفس الاجتماعي دراسة علمية شأنه شأن الدراسات في العلوم الأخرى، والموضوع الرئيس لهذا العلم هو السلوك، والمواقف والمثيرات الاجتماعية هي المجال الأساسي الذي يدور فيه ذلك السلوك الذي يهتم علم النفس الاجتماعي بدراسته.

(1) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة الاجتماعي، دار المعرفة، القاهرة، ط2، 1978م، ص79.

(2) هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل، الأردن، 1998م، ص23.

(3) محمود السعمران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، دار المعرفة، القاهرة، ط1، 1963م، ص13.

(4) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة الاجتماعي، ص65.

(5) حامد زهران، علم النفس الاجتماعي، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط1، 1979م، ص47.

وعلى ذلك فإن علم النفس الاجتماعي يدرس الصور المختلفة للتفاعل الاجتماعي أي التأثير المتبادل بين: الأفراد بعضهم بعضاً، والجماعات، والأفراد والجماعات (فرد وفرد، جماعة وجماعة، فرد وجماعة). ومن خلال هذا الترابط وهذه العلاقة القوية بين العلمين (علم الاجتماع وعلم النفس) تظهر أبعاد اجتماعية نفسية كثيرة تؤثر في اللغة وتتأثر بها، منها: الأبعاد المتعلقة بالعلاقات الإنسانية من حب وكراهية واحترام وتكيف، وتنافس وصراع، وتحقيق الذات وغيرها من الأبعاد الاجتماعية.

أ- بعد التفاعل الاجتماعي:

تعد دراسة التفاعل الاجتماعي الموضوع الأساس لعلم النفس الاجتماعي، وهدفه الرئيس يتجلى في فهم قوانين التفاعل الاجتماعي والكشف عن طبيعتها وماهيتها والصور التي يظهر بها وكذلك من أولوياته فهم نتيجة تأثير الظروف الاجتماعية في سلوك الفرد وكشف الآليات الفعالة لتكيف الفرد في نسيج الواقع الاجتماعي.⁽¹⁾

ومن القضايا ذات القيمة في موضوع التفاعل قضية التلازم بين التفاعل والنشاط فيتحقق التفاعل بالنشاط المشترك للناس وفي ظل العلاقات المتنوعة بين الأفراد.

ب- تعريف التفاعل الاجتماعي:

يعرف العلماء التفاعل الاجتماعي بأنه ضرب من السلوك الارتباطي يقوم بين فردين أو مجموعة من الأفراد، فهو تأثر الشخص بأعمال وأفعال وآراء غيره وتأثيره فيهم.⁽²⁾ أو هو العلاقة المتبادلة بين فردين أو أكثر ويتوقف سلوك أحدهما على سلوك الآخر.⁽³⁾

ويرتكز التفاعل الاجتماعي على عدد من الأبعاد التي تنشأ كاستجابات لبعض الدوافع بعضها يتعلق بالمصلحة المشتركة وأحياناً بحب الذات والأنانية، من تلك الأبعاد:

1- التعاون والتنافس: يكون التعاون بين الناس من أجل تحقيق منفعة مشتركة، وينشأ التنافس الاجتماعي بين الأفراد لوجود موارد تتسم بالندرة أو الحصول على المكانة والرتبة.

2- الولاء والصراع: الولاء والصراع من العمليات التفاعلية الاجتماعية بين الأفراد داخل الجماعات، وهما يعملان على استمرار تماسك الجماعات وتضامنها وتحقيق أهدافها وإشباع حاجاتها، وينتج الولاء لدى الأفراد في داخل الجماعة من الإحساس والشعور بأن الجماعة التي ينتمون إليها هي أفضل الجماعات، بينما ينتج الصراع عندما تتحول المنافسة بين الجماعات إلى منافسة بين الأشخاص أنفسهم.

3- التسامح والتعصب، التجاذب والتنافر، التسلسل والخضوع. وغيرها من المظاهر والأبعاد التي تتخذها عملية التفاعل الاجتماعي.

(1) حامد زهران، علم النفس الاجتماعي، ص 66

(2) محمد عبد الله الجميعان، علم النفس التربوي، مكتبة النهضة، القاهرة، 2008م، ص 123.

(3) المرجع السابق، ص 125.

ج- الأبعاد الاجتماعية واللغة:

اللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية، فتخلقها طبيعة الاجتماع وتنبعث عن الحياة الجمعية وما تقتضيه هذه الحياة من شئون.⁽¹⁾ فاللغة أصل وجذر كل ما يمكن أن نتصوره من عوامل تكوين المجتمع كالتاريخ المشترك، والدين المشترك، والأدب المشترك، إذ لا يقوم شيء من ذلك بدون اللغة. يقول أحمد السايح: "كيف يمكن تصور تاريخ أو دين أو أدب أو فكر أو إحساس لا يترجم عنه بها، إن الشركة في كل هذه العناصر هي الحياة الاجتماعية ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة".⁽²⁾

كما تتأثر اللغة بالنظم الاجتماعية فتحمل سمات المجتمع في النواحي السياسية والاقتصادية والدينية وهناك علاقة بين اللغة وسن الفرد وجنسه ذكر أو أنثى، للأطفال لغتهم وللمراهقين لغتهم وللكبار لغتهم وللنساء لغتهن، ويظهر المعيار الاجتماعي في العلاقة التواصلية بين أطراف الخطاب (صلة قرابة، صداقة، عمل مشترك...) هذه العلاقة تتراوح ما بين القرب والبعد أو الدنو والعلو، ويعبر المرسل عنها بلغة خاصة وبأدوات لغوية كثيرة، وثمة وشيجة قوية بين اللغة واللياقة والأدب، فكثيراً من المجتمعات تحرم كلمات وعبارات معينة متعلقة بموضوعات مختلفة كالموت والأمراض الخبيثة وكوظائف بعض الأعضاء وتستبدل بها كلمات أخرى فيها شيء من اللطف والذكاء مثل: انتقل إلى جوار ربه، ودخل فلان بزوجه وغيرها من العبارات التي تقبلها النفس ويقبلها المجتمع.⁽³⁾

كل هذه الأبعاد تحكمها قوانين تعارف عليها المجتمع والتزم بمراعاتها والمحافظة عليها في تواصله اللغوي، فتحية الصباح غير تحية المساء وخطاب الحاكم ليس كخطاب العامة، وكذلك خطاب الوالد والصديق والجار والولد والزوج كلها تختلف باختلاف الصلة بين الأطراف. تظهر في لغة الخطاب اليومي كل أشكال التفاعل الاجتماعي وأبعاده وعلاقاته كعلاقة الزوجية، الأخوة الأبوة الأمومة، الصداقة، علاقة الحاكم بالمحكوم، الانضباط، العدالة، التنافس الغيرية، الولاء الصراع، وغيرها. وترسم لغة خطاب الحياة اليومية خطوطاً عامة وقوانين صارمة أحياناً ليسير الأفراد بموجها لكونها ناتجة عن تجارب إنسانية واقعية مفيدة.

5- الأبعاد الشخصية:

يمكن عد موضوع الشخصية من الموضوعات الرئيسة في كل فروع علم النفس؛ بل يمكن عدّها البداية والنهاية بالنسبة لعلم النفس بصفة عامة، إذ يدرس علم النفس التربوي الشخصية في نموها وتغيرها عبر مراحل الحياة، ويدرس علم النفس الاجتماعي الشخصية في تفاعلها مع الآخر والمجتمع، ويدرس علم النفس العلاجي الشخصية في توافقها مع نفسها والآخر

(1) علي عبد الواحد وافي اللغة والمجتمع، ص 307.

(2) أحمد عبد الرحيم السايح، اللغة الإنسانية، ص 53.

(3) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص 252.

وأمرضها التي تصيها وتشخيص تلك الأمراض وعلاجها، فالشخصية محور مهم من محاور الدراسات النفسية.⁽¹⁾

أ-تعريف الشخصية:

قال واسطون: "الشخصية هي كمية النشاط التي يمكن اكتشافها بالملاحظة الدقيقة مدة طويلة حتى يتمكن الملاحظ من إعطاء معلومات دقيقة وثابتة". وقال مورتن برنس: "هي الكمية الكلية من الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية والموروثة وكذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة"⁽²⁾.

اهتم التعريف الأول بالسلوك الناتج عن الفرد كما يراه الآخرون، والثاني ركز على المكونات الداخلية للفرد التي توجهه وتحدد سلوكه.

ويعرف (البورت) الشخصية بأنها: "التنظيم الديناميكي في نفس الفرد لتلك الاستعدادات النفسية الجسمية التي تحدد طريقته الخاصة في التوافق مع البيئة"⁽³⁾.

وعرفها كامل عويضة قائلاً: "الشخصية نظام كامل وثابت نسبياً من النزعات الجسمية والنفسية الفطرية والمكتسبة، يميز فرداً بعينه، ويحدد الأساليب التي يتكيف بها مع البيئة المادية والاجتماعية"⁽⁴⁾.

أشارت التعريفات إلى تأكيد فكرة تكامل الشخصية أي أنها ليست مجرد مجموعة صفات وإنما هي وحدة مندمجة تعمل كلها معاً، فهي تشبه المركب في الكيمياء، وكذلك نهت التعريفات إلى أثر البيئة في شخصية الفرد وتوافقها. ويشير البورت في تعريفه إلى فكرة الديناميكية في الشخصية أي التفاعل المستمر بين عناصرها.

مما سبق يمكن تعريف الشخصية على النحو الآتي: الشخصية هي ذلك التنظيم المتكامل الديناميكي الذي يتميز به الفرد وتتكون من التفاعل المستمر المتبادل بين المنظومات النفسية والجسمية ومؤثرات البيئة المادية والاجتماعية.

تشمل دراسة الشخصية جوانب كثيرة الشكل، الحركة، التعبير، السلوك الماضي والحاضر الخبرات، الآمال، رأي الناس فيه، رأيه في نفسه، قدراته العقلية، صحته الجسمية، ظروف التنشئة، العوامل البيئية والوراثية، وهناك اختبارات ومقاييس متنوعة وضعها العلماء لمعرفة مكونات الشخصية وتحليلها.

(1) محمد رجب البيومي، علم نفس الشخصية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996م، ص57.

(2) المرجع السابق، ص67.

(3) المرجع نفسه، ص69.

(4) كامل محمد عويضة، علم نفس الشخصية، مراجعة محمد رجب البيومي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م، ص86.

ب- الأبعاد الشخصية واللغة:

إن أهمية اللغة في تكوين شخصية الإنسان كبيرة فهي الأساس لتكوين الهوية الخاصة لكل فرد، فالطفل الصغير عندما يكتسب اللغة من محيطه الاجتماعي يبدأ يعبر عن شخصيته منذ مراحلها الأولى وعن حاجاته الخاصة، وتتكون لديه العادات والتقاليد وأسس التربية الخاصة به حيث تكون في النهاية هويته الخاصة. كما تساعده اللغة على التطور الفكري للتفاعل مع الأشياء التي حوله، والتقرب من عالمه الجديد.

يتأثر السلوك اللغوي الفردي بالصفات والسمات المميزة للشخصية الإنسانية، فالأسلوب الذي يتبعه الإنسان في كلامه أو كتابته، واختيار مفرداته ومعانيه، وسرعته في الكلام، كل ذلك يرتبط بالصفات الشخصية. كما يعتمد الإنسان في سلوكه اللغوي على أحاسيسه كثيرًا، فأنماط الشخصية المختلفة لها طرائق مختلفة في الكلام والحوار فالشخصية المنطوية تعزف عن الحوار وكذلك الخجولة لها طريقتها الخاصة في الحوار والتواصل، والشخصية المرحة والمزاجية والانفعالية وغيرها من الأنماط كلها تتأثر باللغة وتؤثر فيها فهما وإنتاجا.

ج- بعد تحقيق الذات:

إن الإنسان مفطور على العيش في جماعة وعلى التواصل مع الآخرين تواصلًا فاعلاً يحقق من خلاله أهدافه ويؤكد وجوده فردًا فاعلاً في جماعته، لذلك فإن عميلة التواصل اللغوي تمثل النسق الرمزي المميز للفعل التواصلية الإنساني؛ بل هي التي تؤكد طابع الإنسانية في الكائن البشري، إذ يكتشف الإنسان ذاته والعالم المحيط به، يرى البعض: أن الوعي بالذات هو قلب كل تواصل ويتحقق من خلال ربط علاقات حميمة مع الآخرين وصيانة هذه العلاقات وتقويتها.⁽¹⁾

يعد مفهوم تحقيق الذات أحد أهم محاور تطوير الفرد وتنمية إمكانياته وقدراته، ويمثل رحلة دائمة من التعليم والنمو الشخصي، حيث يسعى الفرد إلى اكتشاف ميوله واهتماماته وتطوير مهاراته.

د- تعريف تحقيق الذات:

يشير مصطلح تحقيق الذات إلى إدراك الفرد التام لإمكانياته وقدراته الإبداعية سواء كانت فكرية أو اجتماعية، وهو يعتمد على استفادة الشخص من قدراته الخاصة للوصول إلى أهدافه وهو أمر شخصي، يختلف من شخص لآخر.⁽²⁾

(1) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 67.

(2) رنية ديكارت، انفعالات النفس، ص 83.

تحقيق الذات يعني حاجة الفرد للتعبير عن ذاته بصورة مباشرة، والوصول إلى أقصى ما يمكن تحقيقه من إشباع حاجاته وإعادة حالة الاتزان التي تساعده في استغلال إمكاناته وقدراته في خدمة الفرد والمجتمع، والقيام بأدواره ومسئوليته وواجباته المعتادة.⁽¹⁾

برز هذا المصطلح (تحقيق الذات) بصورة أكثر كمالاً في تسلسل (ماسلو) الهرمي، حيث يشغل فيه تحقيق الذات المستوى الأعلى من التقدم النفسي، وذلك عند إتمام تحقيق كامل الحاجات الأساسية للفرد.

وتتأثر الصورة الذاتية للفرد بعدة عوامل منها: تأثير الوالدين والأصدقاء ووسائل الإعلام، ويؤدي هذا التأثير إلى تحقيق احترام الذات وكسب الثقة بالنفس وبالأخريين والتخلص من التوتر وعدم القلق وقبول الذات.⁽²⁾

ه-تحقيق الذات واللغة:

تقوم اللغة بدور مهم في تشكيل الوعي، حيث أن الوعي كإدراك للذات المفكرة يتضمن التعبير عن المحتوى الفكري، ويشكل شخصية الفرد الواعي، فليس هناك أي معنى في تحقيق أية مفاهيم بلا لغة.

قال عمر عبيد: "إن اللغات في تفاعلها وتناميها وصحتها ومرضها وحضورها وغيابها وارتفاعها وهبوطها، هي أشبه ما تكون بالكائن الحي المتنامي بكل صفاته وخصائصه وأطواره وتطوره، هي تمثل الروح الممتدة والمحركة للإنسان والمجددة لنفسه والمنمية لعقله وتفكيره والصانعة لعلاقاته والموسعة لخبراته وقدراته. فاللغة هي الإنسان، هي عقله وعلمه وثقافته وهويته...".⁽³⁾

فاللغة كما يراها (عبيد) وسيلة للحركة الإنسانية كلها في المجالات العلمية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، فهي وعاء ذلك كله ووسيلته، فإذا تراجعت أو تعطلت توقفت الحركة الأساسية وانقطع الاتصال والتواصل.

(1) رنية ديكارت، انفعالات النفس، ص 87.

(2) علم النفس المعرفي بين النظرية والتطبيق، عدنان العتوم، ص 101.

(3) عمر عبيد حسنة، اللغة وبناء الذات، دار المسرة، بيروت، ط 1، 1989م، ص 11.

تعكس اللغة أسلوب المرء وتفكيره وعقله وطريقة حياته، وطريقة معالجته لأفكاره، إذ لا بد أن تكون متماشية مع تفكيره ونظرتة ورؤاه للواقع، فباللغة يعبر عن نفسه ويرسم صورته الذهنية لدى الآخرين، وبها يقيّم سلوكيات الآخرين، فالمخرجات اللغوية تكشف عن تفضيل الفرد لتراكيب وتعابير لغوية أخرى، ونظمها بشكل معين يعكس أهدافه ومراميه ويسهم في رسم صورته عند الآخرين، ومن هنا جاءت مقولة: "حدثني حتى أراك" فالمغزى من العبارة أن لغة المرء تعكس مزاياه الشخصية وترسم صورته لدى الآخرين، فالمرء في محيطه الاجتماعي كلمة وحديث لا شكل وهيبة.⁽¹⁾

(2) عمر عبيد حسنة، اللغة وبناء الذات، ص13.

الخاتمة:

يشكل الخطاب في سياقه اللغوي واللغة في سياقها الخطابى مفردتين مهمتين في الرؤية اللسانية المعاصرة، خاصة بعد تنامي الحديث عن الدراسات البيئية، التي اتجهت نحو اكتشاف العلاقات بين العلوم المختلفة، وذلك انطلاقاً من مبدأ وحدة المعرفة وتكامل التخصصات، إذ تعتمد الدراسات البيئية على حقلين فأكثر من حقول المعرفة لمعالجة موضوع ما.

ومن غير شك أن اللسانيات تلتقي مع علوم كثيرة منها علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وغيرها، الأمر الذي أدى إلى ظهور اللسانيات النفسية واللسانيات العصبية واللسانيات الاجتماعية، وقد جاءت هذه الدراسة لإثبات قابلية اللغة العربية للصياغة العلمية مع مختلف العلوم الأخرى وبالتالي مدّ جسور التواصل والعمل مع مختلف التخصصات المتعددة والولوج باللغة العربية إلى ميدان الدراسات البيئية.

إن خطاب الحياة اليومية مرتبط بعلاقات التواصل والتفاعل الخارجي مع الآخر والممارسات الحياتية اليومية، إذ تكمن أهميته التواصلية في توصيل المعلومات ونقل التجارب والخبرات وتتجلى تفاعليته في إقامة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فالخطاب التداولي اليومي ممارسة اجتماعية ونفسية تتجاوز في كثير من الأحيان اللغة المحكية أو المكتوبة.

كما يتوخى من الخطاب التداولي اليومي أن يحقق أهداف الأفراد على اختلافها، تلك الأهداف التي لا يمكن حصرها إلا من خلال الاستعمال وتشكيل الخطاب، ومن ناحية أخرى فإن اللغة التي تشكل الخطاب التداولي اليومي لا تنفصل البتة عن الأحوال والعمليات النفسية والعقلية بكل أبعادها وضروبها.

ناقشت الدراسة لغة خطاب الحياة اليومية وكيف تتشكل تلك اللغة وتظهر في صور خطاب مفهوم يحمل مقاصد المرسل ويعبر عن حاجاته، كل ذلك من خلال مظاهر الاستعمال اللغوي اليومي وتأثرها بالأبعاد النفسية وبالسياق الاجتماعي والثقافي اللذين لا ينفصلان عن بعضهما ولا عن اللغة البتة.

إن تشكيل الخطاب التداولي اليومي وتحليله يستمد من علم النفس اللغوي عناصر مهمة تسهم في ذلك التشكيل وكذلك في التحليل، فالعمليات العقلية من تفكير وإدراك وفهم وتذكر واسترجاع جميعها تؤدي وظائف أساسية في تلوين الخطاب بظلال من الدلالات الأساسية والهامشية فهي تلقي بتأثيرها على الإنتاج والفهم معاً.

كما أن العمليات الانفعالية لا تقل أثراً في توجيه الفرد نحو بناء خطابي معين، استجابة لحالته الانفعالية، فالانفعال ينتج لغة واضحة ومفهومة للطرفين، وكذلك يرتبط بالانفعال عمليات مختلفة منها التعزيز الذي يدعم العملية التعليمية في مختلف مراحلها.

والتأثير النفسي لدى الإنسان يقوم على أساس نزعات نفسية تختلف من فرد لآخر، كما أن السلوك اللفظي يختلف باختلاف نظرة الأفراد للأشياء والمفاهيم، ويقوم كذلك على تفاعله الاجتماعي وتحقيق ذاته وإشباع حاجاته، هذا التأثير ينعكس في اللغة باعتبارها الوجه الثاني للعملة الواحدة (اللغة والنفس)، ومن ثم يتشكل الخطاب وفقا لمعطيات ومتطلبات الأبعاد النفسية المتعددة.

المراجع:

- 1/ إبراهيم السعاقين وعبد الله الخياص، مناهج تحليل النص الأدبي، منشورات جامعة القدس ط1 1993م.
- 2/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط/4، 1979م.
-موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط/7، 1997م.
- 3/ ابن فارس أبو الحسين أحمد، الصحابي، تحقيق أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1997م.
- مقاييس اللغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط/2، 2008م.
- 4/ أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق عدنان دروس ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 1988م.
- 5/ أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت ط/1، 2001م.
- 6/ أبو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة المختار، القاهرة، د.ت.
- 7/ أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، المطبعة الأميرية، بولاق، ط/1، 1981م.
- 8/ أبو حماد ناصر الدين، تعديل السلوك الإنساني وأساليب حل المشكلات، جدار للكتاب العالمي ط1، 2008م.
- 9/ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب القاهرة، ط/2، 1935م.
- 10/ أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت، إصلاح المنطق، تحقيق عبد السلام محمد هرون دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- 11/ أبوبكر محمد بن الحسين بن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير، دار العلم للملايين ط/1 1997م.
- 12/ أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية -بنية الخطاب من الجملة إلى النص، الرباط، 2001م.
- 13/ أحمد عبد الرحمن حماد، العلاقة بين اللغة والفكر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1 1985م.
- 14/ أحمد عبد الرحيم السايح، مقال بعنوان اللغة الإنسانية، مجلة اللسان العربي، العدد الأول المجلد التاسع، 1972م.
- 15/ أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط7، 1968م.
- 16/ أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط/2، 1981م.

- علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط/6، 1988م.
- 17/ ادوارد موراي، الدافعية والانفعال، ترجمة أحمد سلامة ومحمد نجاتي، دار الشروق القاهرة ط1 1988م.
- 18/ استيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب.
- 19/ اسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، القاهرة، ط/1، 1956م.
- 20/ إفيش ميلكا، اتجاهات اللسان، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة.
- 21/ أندرسون جون، علم النفس المعرفي وتطبيقاته، ترجمة محمد صبري ورضا مسعد، دار الفكر عمان، ط1، 2007م.
- 22/ أندرية مارتيني، مبادئ ألسنية عامة، ترجمة ريمون رزق الله، دار الحداثة، بيروت، ط1 1990م.
- 23/ أوليفي رويو، لغة التربية- تحليل الخطاب البيداغوجي، ترجمة عمر أوكان، مكتبة أفريقيا الشرق 2002م.
- 24/ باختين ميخائيل، الخطاب الروائي النفسي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والتوزيع القاهرة، ط1، 1987م.
- 25/ براون دوجلاس، أسس تعليم اللغة وتعلمها، ترجمة عبدة الراجحي وعلي شعبان، دار النهضة العربية، بيروت، 1994م.
- 26/ تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط/2، 1984م.
- مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م.
- 27/ التهامي الراجحي الهاشمي، توطئة لدراسة علم اللغة التعاريف، دار آفاق عربية، بغداد، ط/1 1976م.
- 28/ جابر عصفور، خطاب الخطاب، دار مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، دبي الإمارات 1999م.
- 29/ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هرون مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1998م.
- 30/ جان بياجيه، البنيوية، ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات دار عويدات، بيروت ط3 1982م.
- 31/ جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياها، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط1، 1989م.
- موسوعة مرجعية لمصطلحات علم اللغة النفسي، الإسكندرية، مطبعة الانتصار للطباعة والنشر، 2003م.

- 32/ جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط/1 1990م.
- 33/ جودت جرين، علم اللغة النفسي تشومسكي وعلم النفس، ترجمة مصطفى التونسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.
- 34/ جودت فخر الدين، شكل القصيدة العربية في النقد العربي، دار المناهل، بيروت، ط3 2004م.
- 35/ جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م.
- 36/ جون إي جوزيف، وآخرون، أعلام الفكر اللغوي، ترجمة أحمد شاكر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2006م.
- 37/ حامد زهران، علم النفس الاجتماعي، مكتبة الانجلو، القاهرة، ط1، 1979م.
- 38/ حبيب مونسي، نقد المنجز في النقد العربي- دراسة في المناهج، دار الأديب، وهران الجزائر 2007م.
- 39/ خليل أحمد عمارة، في التحليل اللغوي، مكتبة المنار، ط/1، 1987م.
- 40/ الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الحرمين للطباعة، د.ت.
- 41/ داؤود عبدة، محاضرات في علم اللغة النفسي، الكويت، المطبوعات الجامعية، ط1 1984م.
- 42/ رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/3 1997م.
- 43/ رنية ديكارت، انفعالات النفس، ترجمة جورج زياتي، دار الرافدين، بغداد، 2002م.
- 44/ سعد مصلوح، في النص الأدبي، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 2002م.
- 45/ سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط/4، 2005م.
- 46/ سميح أبو مغلي، كتابات في اللغة، شركة الأصدقاء للطباعة، 1956م.
- 47/ سيجموند فرويد، الإدراك، ترجمة مصطفى غالب، مكتبة دار الهلال، 2002م.
- 48/ سيد أحمد الهام، سيكولوجيا اللغة واضطرابات التواصل، النهضة المصرية، القاهرة 2007م.
- 49/ السيد محمود أحمد، علم النفس اللغوي، جامعة دمشق، ط2، 1995م.
- 50/ صابر الحباشة، الأنساق الرمزية في اللغة والإدراك، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط2 1883م.
- 51/ صلاح فضل، النظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط2، 1987م.
- _ بلاغة الخطاب وعلم النص، لونجمان، القاهرة، ط1، 1996م.

- 52/ عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، ط1، 2003م.
- 53/ عبد الخالق العف، التشكيل الجمالي في الشعر الفلسطيني المعاصر، مطبوعات وزارة الثقافة السلطة الفلسطينية، ط1/1، 2000م.
- 54/ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس 1986م.
- 55/ عبد الغفار حامد هلال، مقال اللغة بين الفرد والمجتمع، مجلة اللسان العربي، العدد 23 1984م.
- 56/ عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظريات التواصل، دار الحوار، دمشق، سوريا، ط1 2003م.
- 57/ عبد القادر شرشار، التحليل الأدبي وقضايا النص، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط 2006م.
- 58/ عبد القادر محمد مايو، علم نفس اللغة من منظور معرفي، دار القلم العربي، ط1 1998م.
- 59/ عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ط1، 1982م.
- 60/ عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، بيروت، دار الكتاب الجديد ط1، 2004م.
- 61/ عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي، دار هومة، الجزائر، ط1، 1987م.
- 62/ عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية، السلسلة الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1/1 1991م.
- 63/ العصيلي، علم اللغة النفسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ط1، 2006م.
- 64/ علي آيت أوشان، السياق النصي (من البنية إلى القراءة)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000م.
- 65/ علي عبد الرحيم صالح وآخرون، ومضات في علم النفس المعرفي، دار رضوان، عمان ط1 2013م.
- 66/ علي عبد الواحد وافي اللغة والمجتمع، دار المعارف، القاهرة، 1946م.
- علم اللغة الاجتماعي، دار المعرفة، القاهرة، ط2، 1978م.
- 67/ عمر عبيد حسنة، اللغة وبناء الذات، دار المسرة، بيروت، لبنان، ط2، 1986م.
- 68/ غازدا جورج وكورسيني ريموند، ترجمة علي حسين حجاج وعطية محمود هنا، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1961م.
- 69/ الغالي أحرشواو، الطفل واللغة تأطير نظري ومنهجي للتمثلات الدلالية عند الطفل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م.

- 70/ فاروق عثمان السيد، سيكولوجية الفروق الفردية والقدرات العقلية، دار القلم، بيروت، ط2 1989م.
- 71/ فالح العجبي، مراحل الإدراك والقدرات التحليلية من التفكير إلى التطبيق، دار ملامح للنشر 2022م.
- 72/ فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، ترجمة د. بوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية بغداد ط/1، 1985م.
- محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف الغزي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1986م.
- 73/ فوزي حسن الشايب، محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، عمان، ط1، 1999م.
- 74/ فولفجانخ زوخاروفسكي اللغة والإدراك منظورات حديثة في علم اللغة، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د.ت.
- 75/ كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي: مدخل، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط2 1994م.
- _ علم اللغة العام- الأصوات، دار المعارف، مصر، ط/2، 1971م.
- 76/ ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط/8 2010م.
- 77/ محمد محمد يونس علي، المدارس اللسانية، المدرسة التداولية ظهورها وتطورها، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 2006م.
- 78/ محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة ط/1، 2005م.
- 79/ محمد عبد الله الجميعان، علم النفس التربوي، مكتبة النهضة، القاهرة، 2008م.
- 80/ محمد عابد الجابري، تحليل الخطاب العربي المعاصر، دار الطبعة، بيروت، ط/1 1985م.
- 81/ محمد عزيز الحبابي، تأملات في اللغو واللغة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا 1980م.
- 82/ محمد عطية الأبراشي، وحامد عبد القادر، في علم النفس، دار العلوم القاهرة، ط2 1944م.
- 83/ محمد محمود بني يونس، سيكولوجية الإحساس والإدراك، مطبوعات دار الثقافة، الرياض 1998م.
- 84/ محمود أحمد السيد، اللغة تدريساً وكتابة، دار الفيصل الثقافية، السعودية، ط/1، 1998م.
- _ علم النفس اللغوي، منشورات جامعة دمشق، ط2، 1995م.
- 85/ محمود أحمد يونس، تعريف اللغة وخصائصها، دار الشروق، القاهرة، ط/1، 1993م.

- 86/ محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، الاسكندرية، ط/2، 1963 م، ص67.
_ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/2، 1997 م.
87/ محمود فهيم حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، ط/2، 1978 م.
88/ محمود كاظم التميمي، علم النفس المعرفي، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 2014 م.
89/ محمود يحيى سالم الجبوري، مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، دار الكتب العلمية بيروت، ط/1، 2006 م.
90/ مختار حبار، شعر أبي مدين التلمساني الرؤيا والتشكيل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1 2002 م.
91/ مصطفى لطفي، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت 1976 م.
92/ موفق الحداني، علم اللغة النفسي من منظور معرفي، دار المسيرة للنشر، عمان، 2007 م.
93/ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986 م.
_ قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط/1، 1993 م.
94/ نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1978 م.
95/ نعمان بوقرة، التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون، مجلة الرافد، العدد 79 الجزائر 2006 م.
96/ نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1975 م.
97/ نوري جعفر، اللغة والفكر، مكتبة التومي، الرباط، المغرب، ط1، 1971 م.
98/ هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، ط1 1998 م.
99/ وليد محمد مراد، تطوير الجهود اللغوية في علم اللغة العام، دار الرشيد، دمشق، ط1 1986 م.
100/ وعد عباس، البعد النفسي في الشعر الفصيح والعامي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة 2018 م.

الفهرس

4مقدمة:
5 الفصل الأول: مفاهيم عامة
61/اللغة وطبيعتها:
272/ علم اللغة وعلم النفس:
303/ الأبعاد النفسية اللغوية:
314/ لغة خطاب الحياة اليومية:
32 الفصل الثاني: التشكيل اللغوي لخطاب الحياة اليومية
331/ تشكيل خطاب الحياة اليومية:
402/ خصائص لغة الخطاب اليومي:
443/ وظائف خطاب الحياة اليومية:
47 الفصل الثالث: الأبعاد النفسية وتشكيل خطاب الحياة اليومية
481-اللغة والسلوك:
512- الأبعاد المتعلقة بالعمليات العقلية:
603- الأبعاد الانفعالية:
654- الأبعاد الاجتماعية:
72 الخاتمة:
74 المراجع:
80 الفهرس

الأبعاد النفسية في لغة خطاب الحياة اليومية



نبذة عن المؤلف

- * أ.د عباس محمد أحمد عبد الباقي.
- * الميلاد: السودان، جنوب دارفور، مدينة نيالا في العام 1972م.
- * دكتوراة في اللغة العربية (علم اللغة) جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغات.
- * عمل معلم بالمرحلة الابتدائية والثانوية بجنوب دارفور مدينة نيالا.
- * أستاذ مشارك بجامعة زالنجي، كلية التربية.
- * أستاذ مشارك بجامعة نيالا كلية التربية.
- * أستاذ مساعد بجامعة الجنيينة، كلية التربية.
- * رئيس قسم اللغة العربية، بكلية التربية جامعة الجنيينة. * رئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية، جامعة زالنجي.
- * عميد شؤون الطلاب، جامعة زالنجي.
- * عميد كلية الدراسات العليا بجامعة زالنجي.
- * أستاذ متعاون مع جامعة الضعين وجامعة الفاشر وجامعة أم درمان الإسلامية وجامعة السودان المفتوحة وجامعة انجمينا وجامعة الملك فيصل بتشاد.
- * نشر أكثر من ثلاثين ورقة علمية في المجلات المحلية والعالمية.
- * له ثلاث كتب مطبوعة.
- * شارك في الكثير من المؤتمرات العلمية العالمية في دبي وماليزيا ومكة
- * عمل محكما في عدد من المجلات العلمية المحلية والعالمية.
- * عمل محررا بالمعجم التاريخي للغة العربية بمجمع اللغة العربية بالشارقة.
- * ساهم في وضع وتطوير المناهج بكل من جامعة زالنجي والجنيينة ونيالا والمعهد الجامعي للعلوم التطبيقية والإنسانية في انجمينا.
- * يعمل حالياً أميناً للشؤون العلمية بالمعهد الجامعي للعلوم التطبيقية والإنسانية- انجمينا.

